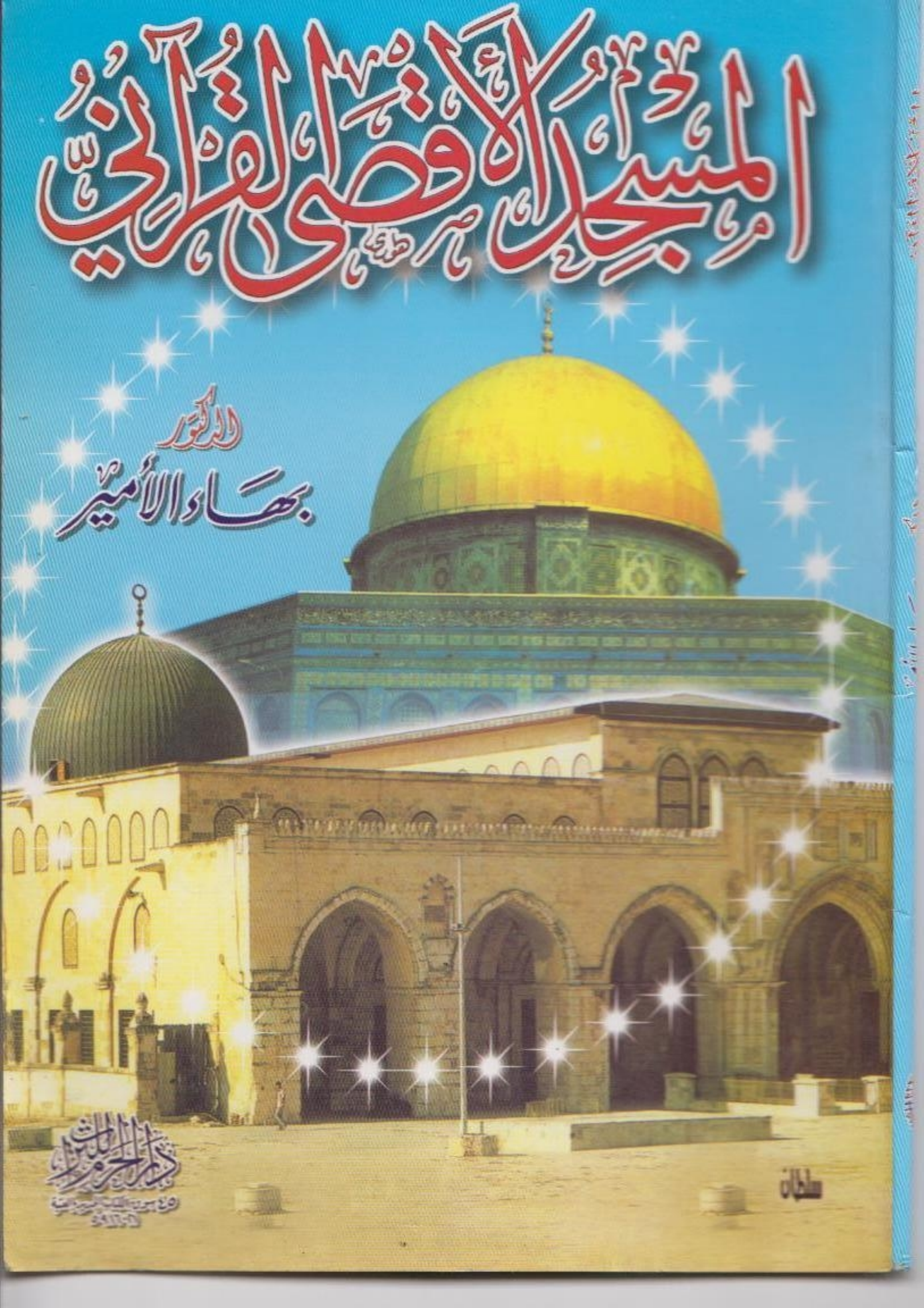

المسجد الأقصى القرآني
الدكتور
بهاء الأمير

المسجد الأقصى القرآني

دكتـــور

بهـاء الأميــر

الناشـر

دار الحرم للتراث

٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة ـ القاهرة

ت: ٥٩١٦٠٢١

الكتاب: المسجد الأقصى القرآنى
المؤلف: د/ بهاء الدين الأمير
الناشر: دار الحرم للتراث
العنوان: ٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة ٥٩١٦٠٢١
الطبعة الأولى: يونيه ٢٠٠٤
رقم الإيداع بدار الكتب: ١٠٨٠١ /٢٠٠٤
الترقيم الدولى: X 14 - 6038 - 977

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهـــر الشريف
مجمــع البحــوث الاســلامية
الادارة العـــامه
للبحــوث والتأليف والترجمــه

السـيد / د/ جلال الدين ...

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعه كتاب : المعجم الأعجمي القرآني
... تأليف ...

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيده الاسـلامية ولا مانع من طبعــه ونشره على نفقـتكم الخـاصة .

مع التـاكيد على ضرورة العنـايه التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والاحاديث النبويه الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـع .

واللـه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

تحريرا في ١٠ / صفر / ١٤٢٢ هـ
الموافق ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٢ م

مدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

إهداء

إلى الطائفة التى على الحق ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، تسوّر مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجسادها وتحول بين اليهود وبينه بدمائها.

إلى شهداء انتفاضة الأقصى.

د. بهاء الأمير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله الغنى عن خلقه، يصطفى من يشاء من عباده. والصلاة والسلام على النبى الخاتم والرحمة المهداة وعلى آله وصحبه ووارثى نهجه إلى يوم الدين. وبعد.

مذ هبت انتفاضة الأقصى المبارك والمباركة وسيال من الكتابات يتدافع تحقيقًا ومقالاً أو دراسة وبحثًا عن المسجد الأقصى. فإذا ما دقق مدقق فيما وراء هذا السيال وجد أن جل الكاتبين لا يعرفون بالضبط ما يكتبون عنه ويعرفون الناس به!.

ففى آن يبدأ الكلام عن المسجد الأقصى البقعة المبارك فيها وحولها، أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومنتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، لينزلق القلم بعدها بسهولة شديدة وغفلة أشد حين يبدأ الكلام عن موقع هذا المسجد أو صفته إلى قصر هذه الفضائل وقصر هذا الاسم (المسجد الأقصى) على الجامع المبنى جنوب قبة الصخرة المشرفة فى صدر الحرم القدسى والمسمى بالمسجد الأقصى، وكأنه هو فقط المسجد الأقصى ولا أقصى غيره.

وفى آونة أخرى يختلط وصف الحرم القدسى بوصف المسجد المسمى الأقصى فيذكر طول هذا مع عرض ذاك! أو تتداخل أبواب هذا بأبواب ذلك، وقد تتداخل بواباتهما معًا ببوابات القدس!.

ولا يعرف عوام المسلمين من المسجد الأقصى إلا أنه القبة الصفراء الذهبية الآسرة للبصر والتى يضعها الإعلام الغربى اليهودى (وتابعه قفه!) على أغلفة الصحف والمجلات وشاشات التلفاز كلما جاء ذكر «جبل الهيكل» فى الإعلام الغربى أو ذكر المسجد الأقصى فى الإعلام القفه! وهى (القبة الصفراء) ليست إلا قبة الصخرة المشرفة.

والأمر بعدُ وخيم العقابيل لا مجرد خطأ فى المعلومات أو لبس فى تحديد موقع ووصف وصفة. إذ اعتماداً على هذا الالتباس والخلط بين المسجد الأقصى القرآنى وبين الجامع المسمى بالأقصى جنوب الصخرة فى أذهان المسلمين عوامًا وكتابًا بل وبعضًا من المؤرخين أقدم حاخام الجيش الإسرائيلى شلومو جورين على دخول الحرم القدسى الشريف يوم ١٥/ ٨/ ١٩٦٧م وصلى فيه مع جماعة من أتباعه مدعياً أنه يصلى بعيداً عن المسجد الأقصى الذى يقدسه المسلمون!.

وهو ما دعا أربعين عالمًا من علماء المسلمين بالقدس وسائر الضفة الغربية من نهر الأردن يتقدمهم قاضى القضاة بالنيابة فى الضفة الغربية ورئيس محكمة الاستئناف فضيلة الشيخ عبد الحميد السايح إلى الاجتماع فى القدس وإصدار فتوى جماعية يوم ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٧هـ الموافق ٢٢/ ٨/ ١٩٦٧م جاء فيها: «إن المقصود من المسجد الأقصى هو جميع ما أحاطه السور وفيه الأبواب ويشمل

المسجد المعروف الان بالمسجد الأقصى ومكان الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما، وإن الاعتداء على أى جزء من الساحة الموجودة داخل السور هو عدوان على المسجد الأقصى نفسه ومساس بقدسيته»[1].

وهى الفتوى التى أيدها المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى رجب ١٣٨٨هـ/سبتمبر ١٩٦٩م والذى نص فى البند الرابع - الفقرة ب من القرارات والتوصيات على أنه «يؤكد الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم بالضفة الغربية فى ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٧هـ/ الموافق ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٦٨م والمتضمنة أن «المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن وقبة الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب»[2].

وفى يوم ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠ دخل شارون الحرم القدسى وتجول فيه ثم خرج منه تحت وابل من حجارة الطائفة التى على الحق لا يضرها من خالفها دون أن يتمكن من دخول الجامع المبنى جنوب الصخرة فى صدر الحرم. وهلل إعلامنا مزهواً بما استطاعه

(١) نص فتوى علماء القدس والضفة الغربية ملحق رقم (٤) بكتاب بيت المقدس فى الإسلام. تقديم د. عبد الحليم محمود. مجمع البحوث الإسلامية. الكتاب الخامس «عدد خاص» رجب ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٢) نص قرارات المؤتمر وتوصياته ملحق رقم (١) بكتاب بيت المقدس فى الإسلام.

الفلسطينيون من منع الخنزير من دخول المسجد الأقصى وهم لا يعلمون أن الحرم القدسى الذى تجول فيه شارون وحثالته هو نفسه المسجد الأقصى القرانى المذكور نصًّا فى صدر سورة الإسراء لا الجامع الصغير المبنى فى قبلته!.

وفى شهر أكتوبر ٢٠٠٠م منحت هيئة أراضى إسرائيل إذنا لجماعة أمناء الهيكل بوضع حجر أساس لبناء هيكل ملاصق لقبة الصخرة داخل الحرم القدسى، ولم يمنعهم من وضعه إلا انتفاضة الأقصى ودماء طاهرة تسيل على [illegible] حوله ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس لتكتب على صفحة التاريخ أنه مازال فى أمة [illegible] ﷺ من يرثه وينتسب إليه حقًا.

والحجة الصادعة عند بنى إسرائيل هى أن مسجد المسلمين الأقصى المقدس عندهم جنوب الحرم مصون لم يمس بأذى ولا وطأته قدم، فما بالهم لا يكتفون بمقدساتهم ولا يكفيهم إلا أن يمنعوننا عن مقدساتنا؟! وما على اليهود ملامة!

على أن ما هو أخطر من هذا الالتباس والخلط بين المسجد الأقصى القرآنى وبين المسجد المسمى بالأقصى [illegible] الحرم وما هو أخطر من اهتبال اليهود لهذا الالتباس والخلط هو تأصيله [illegible] مسوح العلم وطيلسان البحث وبأقلام «مسلمة».

فقد ذهب الباحث أحمد عثمان[1] إلى أن «المسجد الأقصى الذى

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ١٠/١٠/٢٠٠٠م

بناه الأمويون فى الطرف الجنوبى لساحة الحرم هو المكان المقدس عند المسلمين وهو ثالث الحرمين». فجعل الباحث المذكور المسجد المسمى بالأقصى (الأقصى المروانى) هو المسجد الأقصى القرآنى المقدس وفصله عن الصخرة المشرفة، بل جعلها فى معرض رده على نقاده الخطابيين حقاً لليهود؛ إذ «هى عندهم أساس هيكلهم الذى لو صح لهم كما اقترح الأمريكيون فى كامب ديفيد الثانية ما سقط الشهداء ولا سالت الدماء فوق الأراضى الفلسطينية!!»

وبكون المسجد الأقصى المروانى جنوب الحرم هو المسجد الأقصى [illegible] والبقعة المباركة، [illegible] الصخرة لا [illegible] لها بالبقعة المباركة، بل هى حجر أساس هيكل اليهود لم يعد للحرم القدسى قداسة ولا بركة ولا معنى أو اعتبار سوى أنه الساحة المسورة التى بنى المسجد الأقصى داخلها إلى جانب أبنية أخرى كثيرة.

وقد اتكأ الباحث المذكور على الرواية التى أوردها الطبرى[1] فى تاريخه «عن رجاء بن حيوة عمن شهد قال: [illegible] شخص عمر رضي الله عنه من الجابية إلى إيلياء ... فقال: أين ترى أن نجعل المصلى؟

فقال: إلى الصخرة. فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب. بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها. اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أُمرنا بالكعبة».

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ٦١٠. دار الفكر.

وبهذه الرواية المنتقاة قصر الباحث اسم المسجد الأقصى ثالث الحرمين والبقعة المباركة على الجامع الواقع فى صدر الحرم جنوب القبة والمقام فى المنطقة التى اختارها عمر ﷺ للصلاة دون الصخرة وموقعها ودون باقى ساحات الحرم القدسى داخل أسواره!.

ولأن الالتباس والخلط وصل إلى العتبة التى يوسم فيها بوسم العلم، يحتاج الأمر إلى تحقيق وتجلية لتحديد موقع وصفة البقعة المباركة التى سماها القرآن المسجد الأقصى.

فهل هذا المسجد الأقصى المذكور فى القرآن هو الجامع المبنى أو المساحة التى أقيم عليها فقط؟ أم هو الصخرة وقبتها؟ أم هو الحرم القدسى الشريف؟ وكيف عرف المسلمون زمن الإسراء ونزول آيته البقعة المقصودة فى الآية؟ بل وكيف عمر بن الخطاب عند الفتح موقع المسجد وكيف عرف صفته وأنه المقصود وهو لم يره من قبل؟ وهل كان اختيار عمر ﷺ الجزء الجنوبى من ساحة الحرم للصلاة لأنه هو فقط المسجد الأقصى؟ وإذا كان المسجد الأقصى هو كل الساحة المسورة المتعارف عليها الآن بالحرم القدسى فلماذا اختار عمر البقعة الجنوبية تحديدًا للصلاة دون باقى أجزاء الحرم؟ وإذا كانت الصخرة وما حولها جزء من المسجد الأقصى فلماذا رفض عمر الصلاة عندها وتركها مع شرفها إلى فضاء خال جنوبها وفى أقصى الحرم؟.

الحرم القدسى الشريف قبل الإسلام

تقع الهضبة المقدسة أو جبل الموريا كما تسميه التوراة[١] فى الزاوية الجنوبية الشرقية لمدينة القدس[٢].

وفى عام ٢٠ ق.م شرع هيرود فى بناء الهيكل الثانى[*] فى قمة جبل الموريا، واستغرق بناء الهيكل ثمانية عشر شهراً. وما يعنينا هنا أكثر من الهيكل هو الساحة التى أقيم فيها، والتى هى الآن الحرم القدسى الشريف.

قام هيرود بتسوية سطح جبل الموريا وأمر ببناء دكة أو منصة هائلة فوق قمة الجبل/ساحة الحرم أقرب إلى شكل المستطيل الذى هو نفسه شكل قمة الجبل أو الهضبة، وبلغ طول المنصة حوالى ٤٠٠ ياردة وعرضها ٣٠٠ ياردة[٣]. وقد استغرق العمل فى هذه المنصة الهائلة ما يربو على الثمانين عاماً فلم تكتمل إلا فى عام ٦٤م فى عهد أغريباس الثانى، أى بعد وفاة هيرود بنحو ستين عاماً.

---

(١) أخبار الأيام الثانى ٣: ١. (٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٩.

(*) سنضرب صفحًا عن ذكر الهيكل الأول المنسوب لسليمان عليه السلام إذ لا فائدة من ذكره هنا وهو بعدُ مشكوك فى وجوده - على صفته المذكورة فى التوراة - تاريخيًا إذ لا أثر له ولا ذكر خارج سفر الأخبار الثانى وسفر الملوك الأول وهو يحتاج إلى بحث منفصل يرده إلى حقيقة المسجد ويزيل ما علق به من أساطير التوراة التى حولته إلى هيكل أشبه بالمعابد الوثنية.

(٤) د. عبد الحميد زايد. القدس الخالدة ص ١٢٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

وكانت المنصة المقامة من الاتساع بحيث إنها تخطت حدود الجبل مما استدعى إقامة حوائط وأسوار ضخمة عالية وذات أساسات عميقة فى الأرض تكون بمثابة حوامل أو دعامات ترتكز عليها هذه المنصة الهائلة[1] . مع ردم الفراغ الهائل تحت المنصة بين هذه الحوائط وقمة الهضبة[2] .

ففى عام ٦٤م كانت صورة البقعة المباركة هى: ساحة واسعة شاسعة هى سطح الهضبة المقدسة/ جبل الموريا ترتكز على حوائط وجدران هائلة يبلغ ارتفاعها ثمانية عشر مترا، وتتكون هذه الجدران من حجارة يتراوح وزن الحجر منها بين طنين وخمسة أطنان. وفى وسط هذه الساحة أقيم الهيكل اليهودى حول الصخرة المقدسة إذ هى عند اليهود حجر أساس الهيكل وموضع قدس أقداسه[3] .

وحين دخل المسيح عليه السلام هذا الهيكل «أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتى بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة

---

(١) كارين أرمسترونج القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٢٢٥ ت د. محمد عنانى د. فاطمة نصر سطور القاهرة ١٩٩٩م.

(٢) Encyclopaedia Judaica vol. 15 p. 963.

انظر نموذج تخيلى لهيكل هيرود ص ١٨ .

(٣) وصف بناء الهيكل الهيرودى وصفا تفصيليا سيمون بن حنان (يوسفوس فلافيوس) تاريخ يوسفوس ص ٢٠٩ المكتبة العمومية لسليم إبراهيم صادر بيروت ١٩٢٤م.

وانظر أيضا Encyclopaedia Judaica vol. 16 p. 961 - 970.

لصوص»[١]. فقد حوله اليهود من بيت عبادة إلى ما يشبه «الموالد» في أيامنا هذه!!

وفي عام ٦٦م بدأ اليهود في الثورة على الحكم الروماني، وفشل الرومان في إخضاعهم بل هزموا وترجعوا أمامهم، فوجهت الإمبراطورية واحدا من أقدر قوادها هو فسبسيانوس للقضاء على الثورة، فقهرهم وعزل أورشليم عن باقي فلسطين (٦٩م) ثم عاد إلى روما لينصب إمبرطوراً بعد وفاة سابقه تاركا ابنه تيطس ليتم القضاء على اليهود.

وبعد حصار دام أربعة أشهر (فبراير - مايو سنة ٧٠م) تمكن تيطس من اقتحام سوري القدس، ثم بعد ذلك بثلاثة أشهر دخل هو وجنوده ساحة الهيكل واضرموا النار في الهيكل حتى أتت عليه وحولته أكوامًا من الأنقاض فصار أثرًا بعد عين[٢].

ففي سنة ٧٠م تحولت البقعة المباركة إلى ساحة واسعة محاطة بالأسوار التي ترتكز عليها المنصة التي تكون هذه الساحة، وفي وسطها الصخرة المقدسة وعليها أكوام هائلة من أنقاض الهيكل الهيرودي.

---

(١) متى ٢١: ١٣ - ١٤

(٢) تدمير الهيكل الهيرودي: تاريخ يوسفوس ص ٣٠٦ - ٣٠٧ وممن أفاض في وصف خراب الهيكل من المؤرخين الإسلاميين ابن خلدون في تاريخه (كتاب العبر) جـ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ طبعة دار الفكر، وهو ينقل نقلا عن يوسف بن كريوغ (يوسفوس). وانظر Encyclopaedia Judaica vol. 15 p. 959 - 960.

وفى عـام ١٣١م أصدر الإمـبرطور الـرومانى إيليـوس هادريان، الذى سـميت أورشليم باسـمه (إيليـاء) وظلت تعرف به حـتى عـصر المبـعث النبوى، وكان هو اسم القدس المـثبت فى العهدة العـمرية، أصدر هادريان مجموعة مراسيم لإذلال اليـهود وتتضمن تحريم الختان وتحريم تعليم التوارة وتحريم الاحتفال بالأعـياد اليهودية، فثار اليهود على الرومان بقيادة سـمعان باركوخبا واسـتمرت الثورة ثلاث سنوات إلى أن تمكن الرومان من إخماد الثورة وقتل باركوخبا عام ١٣٥م.

ونكاية فى اليهـود وانتقامـاً منهم دمر هادريان أورشليم اليـهودية «وزرعها وفلحها وجعلها مساحة واحدة»(١) أى سواها بالأرض، وأقام هادريان مدينة رومـانية الطراز محل أورشليم اليهـودية، وأزال أنقاض الهيكل وبنى مـعبدا لجوبتـر كبيـر معبودات الرومـان على خلاف بين المؤرخين هل أقيم هذا المعبد مكان الهيكل أو فى موضع آخر.

والشىء المؤكـد هو ما ذكره زوار إيليـاء من وجود تمـثالين على الجبل المقدس أحدهما لهادريان والثانى لخليفته أنطونيوس بيوس(٢).

وبعد مـجمع نيقيـة المسكونى (٣٢٧م) أذن الإمبـرطور الرومانى المتنصر قـسطنطين لأسقف أورشليم مكاريوس بهدم المعـبد الرومانى والتمـثالين «وكـانت أعمال الهـدم تتخذ طابع طقـوس التطهيـر كانت

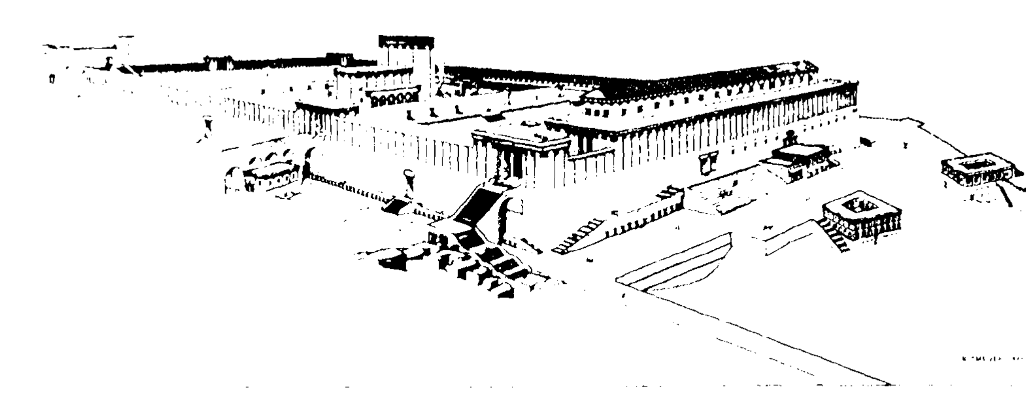
---

(١) خليل سـركـيس. تاريخ أورشليم ص ١٥٤. طبع بـمطبـعة المـعـارف. بيروت. ١٨٧٤م.

(٢) القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٢٧٨.

الوثنية قذارة ولابد أن تمحى آثار المعبد عن آخرها ويلقى بمواد البناء خارج المدينة»[1].

إذًا أن فى أوائل العهد المسيحى للقدس عادت منطقة الحرم القدسى إلى ما كانت عليه بعد خراب الهيكل الثانى: ساحة واسعة هى سطح الهضبة المقدسة تحيط بها أسوار عالية ضخمة وليس فى هذه الساحة إلا الصخرة المشرفة فى منتصفها.



نموذج تخيلى لهيكل هيرود

(١) القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٢ ٣ ـ ٣ ٣

الحرم القدسى عند الفتح العمرى

يتفق المؤرخون الإسلاميون على أن «الروم جعلوا الصخرة مزبلة حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى فى الصخرة»(١).

وقد بلغ من كثرة الأقذار المطروحة على الصخرة وحولها «والكناسة التى كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس»(٢) أن ما فى المسجد من الزبالة قد «انحدر على باب الدرج إلى الزقاق الذى فيه الباب وكثر على الدرج حتى كاد يلتصق بسقف الرواق»(٣).

ومما يشهد لرواية المؤرخين الإسلاميين بالصحة ويؤكدها أن حاجا من بوردو زار أورشليم المسيحية عام ٣٣٣م أى قبل الفتح

---

(١) من رواية سعيد بن عبد العزيز: الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعى الدمشقى. البداية والنهاية جـ٧ ص ٥٣. دار الحديث ط٥ ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢) من رواية أبى مريم مولى سلامة وهو ممن شهد الفتح العمرى. الطبرى. تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ١٠٧

(٣) من رواية الوليد بن مسلم عن شيخ من ولد شداد بن أوس عن أبيه عن جده. قاضى القضاة مجير الدين العليمى الحنبلى. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل جـ١ ص ٢٥٦. طبع بالمطبعة الوهبية ١٢٨٣ هـ، شهاب الدين احمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى السيوطى. إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى جـ١ ص ٢٣٦ ت د/أحمد رمضان أحمد الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢م.

العمرى بحوالى ثلاثة قرون وسجل وصفًا هو أول وصف تفصيلى لمنطقة «جبل الهيكل» بعد خرابه، وهو أيضا أقدم وصف للبقعة المباركة قبل الفتح العربى.

وقد وصف الحاج من بوردو منطقة جبل الهيكل بأنها أصبحت مكانا مهجورًا ومخيفا. وما يؤكد هذا الوصف أنه رأى مدفنا داخل الأسوار يقال: إن الملك سليمان كان يعذب الشياطين فيه، ورأى فى موقع الهيكل نفسه بقع دماء ذكرها على أنها بقع من دم النبى زكريا الذى قتله الملك يهواش[1].

فمع دخول الإمبراطورية الرومانية فى طورها المسيحى انتقلت مواقع القداسة والتبجيل من منطقة الحرم القدسى إلى المناطق التى شهدت آثار المسيح ودار حوارها الاعتقاد المسيحى خاصة منطقة الجلجثة قبر المسيح وقيامته حسب اعتقادهم، فيما أصاب الإهمال والزراية منطقة جبل الهيكل نكاية فى اليهود.

فعند الفتح العربى كان وصف الحرم القدسى أنه ساحة شاسعة هى سطح الهضبة المقدسة وهذه الساحة محاطة بأسوارها وليس فيها شيء، لا قباب ولا هياكل ولا جوامع مبنية ولا أى أبنية أخرى، لم يكن إلا الصخرة المقدسة والتى تقع فى وسط الساحة والقمامة عليها ومن حولها.

وهاهنا تطرق الذهن أسئلة عدة:

(١) القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٣١٥

أولاً: أين يوجد المسجد الأقصى؟.

لم يكن المسجد الأقصى قبل الإسلام علماً على البقعة المباركة ولا هو كان اسما لها فـ «هذا العلم من مبتكرات القرآن، ولم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف»(١).

فإذا كان المسجد الأقصى من مبتكرات القرآن، كيف إذًا عرف المسلمون بل والمشركون ممن سمعوا آية الإسراء عند نزولها أن المقصود بهذا الاسم هو هذا المكان الموجود فى إيلياء أو المدينة المقدسة.

فسر الشيخ الطاهر بن عاشور معرفة العرب بأن هذا المكان هو المقصود بأنهم «لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء إذ لم يكن مسجد لدين إلهى غيرهما يومئذ»(٢).

وهذه إجابة غير شافية، إذ لم يكن الجبل المقدس معروفًا فى اليهودية (وهى الدين الإلهى المقصود) بالمسجد، بل هو عندهم «هار هـ ـ بيت»، وترجمتها الحرفية جبل البيت (بيت الإله). وما اصطلح عليه بالهيكل هو فى العبرية اليهودية «هـ ـ بيت»، والهاء هى حرف التعريف فى العبرية مما يقابل (ال) العربية، وبيت العبرية هى بيت العربية.

---

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير جـ١٥ ص ٤، الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤م.
(٢) تفسير التحرير والتنوير جـ ١٥ ص ١٤

هذه واحدة، والأخرى أنه إذا كانت منطقة جبل الهيكل مقدسة فى اليهودية وهى دين إلهى أو كتابى، فإن منطقة الجلجثة وبها كنيسة القيامة كانت فى الوقت نفسه مقدسة فى النصرانية، وهى أيضاً دين إلهى أو كتابى.

وإذا لم تكن هذه تسمى بالمسجد ولا ذاك سمى بالمسجد فمن أين عُلم أن المقصود بالعلم القرآنى هو سطح هضبة الموريا؟ نحسب أن أذهان العرب ممن أسلم أو أشرك لم تنصرف ابتداء إلى «الحرم القدسى الشريف» عند سماع آية الإسراء، وإنما كان الذى صرفها إليه هو وصف النبى ﷺ رحلة الإسراء. فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس أنه ﷺ لما أتى قومه ليخبرهم بالإسراء به «قال: إنى أسرى بى الليلة. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس»[1].

فبهذا الرد انصرفت الأذهان أولاً إلى أن الموضع المقصود هو فى المدينة المقدسة لا فى غيرها. والمدينة هى التى لم يكن فى العالم حتى نزول القرآن مدينة غيرها تقدس عند أهل الكتب. وما يدل على معرفة العرب بقداسة المدينة وانصراف أذهانهم إليها لا إلى البقعة المباركة المحددة فى الآية وهى المسجد أنهم تعجبوا من النبى ﷺ «قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟». وتعجبهم هذا يقع على المدينة لا على الحرم.

(١) الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى. المسند جـ٣ ص ٢٥٢. حديث رقم ٢٨٢. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث ط١ ١٩٩٥م/١٤١٦هـ.

ففى رواية أبى يعلى (ت٣٠٧هـ)[١] فى مسنده والحافظ ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) فى عيون الأثر[٢] والحافظ ضياء الدين المقدسى (ت٦٢٥هـ) فى فضائل بيت المقدس[٣] عن أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ، وفى رواية الخطيب الواسطى[٤] فى فضائل البيت المقدس (ألف كتابه ٤١٠هـ) عن أبى صالح عن ابن عباس أن المطعم بن عدى بن نوفل قال للنبى ﷺ : «كل أمرك قبل اليوم كان أمماً غير قولك اليوم. أشهد أنك كاذب. نحن نضرب أكباد الإبل إلى

---

(١) مسند القاضى أبى يعلى الموصلى عن (أ) الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية جـ٤ ص ٢٠٢ ت. الأستاذ المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى. حديث رقم ٤٢٨٧ دار المعرفة. بيروت بدون تاريخ (ب) الحافظ جلال الدين السيوطى. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ٤ ص ١٤٩ المكتبة الميمنية. إدارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى شوال ١٣١٤هـ.

(٢) الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى. عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ص ٢٤٢ تحقيق وتعليق د. محمد العيد الخطراوى ومحيى الدين متو. مكتبة دار التراث المدينة المنورة. مكتبه ابن كثير. دمشق. بيروت ط١ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م.

(٣) الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسى الحنبلى. فضائل بيت المقدس ص ٨٢ تحقيق محمد مطيع الحافظ. دار الفكر. دمشق ط١ ١٤٠٥هـ.

(٤) الخطيب أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الواسطى. فضائل البيت المقدس ص ٩٥ تحقيق إسحق حسنون. معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية بالجامعة العبرية فى أورشليم. دار ماغنس للنشر. القدس ١٩٧٩م.

المقـدس مصعـدًا شهرًا ومنحـدرا شهرا تزعم أنك أتيـته الليلة»!

وهم إنما كانوا يضربون أكباد الإبل إلى المدينة لا إلى المسجد.

أما كيف عرفوا أن المراد بالمسـجد الأقصى هو هضبة الحرم فإنه كذب المشركـون ﷺ وتحدوه: «هل تستطيع أن تنعت لنا المسـجـد؟ قال: نعم. قـال: فذهبت أنـعت حتى التـبس على بعض النعت. قال: فجيء بالمسجد حـتى وضع دون دار عقيل. قال: فنعته وأنا أنظر إليه»

رواية البـخـاري [1] (∀ ومـسلم[2] (ت١IV∀هـ)هـ والترمذي[3] (ت٢٧٩هـ) والإمام احـمد(٤) (ت٢٤١هـ) عن جـابر بن عبـد الله أنه سمع النبـي ﷺ يقول: «لما كـذبتني قريش قـمت في الحجـر، فجلى الله لي بيت المقـدس فطفقت أخـبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

---

(١) الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيـم بن خردذبه الجعفي البخاري. كتاب التفسير. باب قوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾ حديث رقم ٤٧١٠ جـ٣ ص ٤٧٥. مراجعة وضبط وفهرسة الشيخ محمد على القطب والشيخ هشام البخاري. المكتبة العصرية. صيدا ـ بيروت ط٢ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٢) الإمام أبو الحسين مسلم بن حجاج القـشيري النيسابوري. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله. حديث رقم ٢٧٦ جـ١ ص ١٥٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية.

(٣) الإمام أبو عيـسى محمد بن عيـسى بن سورة الترمذي. الجـامع الصحيح. كتاب التفسـير. باب «ومن سورة بني إسرائيل» حديث رقم ٣١٣٣ جـ٥ ص ٣٠٠ دار الحديث.

(٤) مسند الإمام أحمد. حديث رقم ١٩٧٤ جـ١٢ ص ٥٩.

وقد كان بعض العـرب ممن سمعـوا النبى ﷺ منذ زار القدس فى رحلة الشام السنوية ورأى الهـضبة المقدسة المـسورة. ففى رواية الإمام أحـمد عن ابن عـباس «قال (ابن عـباس): وفى القـوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجـد». ويؤيدها ما وراه الإمام البيهقى (ت٤٥٨هـ) فى دلائل النبوة[1] والحافظ ابن عـساكر (ت٥٧١هـ) فى تاريخه الكبير لمدينة دمشق[2] بسنده عن ابى سعيد الخدرى فى حديث المـعـراج عـن النبى ﷺ أنه قـال لأصـحـابه: «فــقـال رجل من المشـركين: أنا أعلم الناس ببيت الـمقدس وكيف مـاؤه وكيف هيئـته وكيف [illegible] الجبل؟ فإن يكن [illegible] صـادقاً فسأحـبركم وإن كاذبًا فسأخبركم». فالعرب مسلمـون ومشركون علموا موضع المسحد الأقصى بتعيين النبى ﷺ بأنه فى [illegible] المـقدس/المدينة المقدسة،

[illegible] أن [illegible] هو [illegible]

النبوى لهـا لا بكونه كان معروفًـا بمسجـديته عندهم. ذلك أن [illegible] الحرم القـدسى (ساحة هى سطح هضبـة فى وسطها صخرة وحـولها أسوار فيها أبواب) مما لا يختلط بغيره فى بيت المقدس.

---

(١) الإمام أبو بكر أحـمد بن الحسـين البيهقى: دلائـل النبوه ومعرفـة أحوال صاحب الشريـعة جـ ٢ ص ٣٩٦. وثق أصوله وخرج حديثـه وعلق عليه عبد المعطى قلعجى. دار الريان للتراث ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) الحافظ أبو القـاسم على بن الحسين بن هبـة الله الشافعى المـعروف بابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق جـ٣ ص ٥١٦. تحقيق محب الدين أبو سعيد عمرو بن غرامة الضمرى. دار الفكر. بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ثانياً: هل كان المسلمون عند الفتح يعلمون موقع المسجد الأقصى من بيت المقدس[*]؟:

جبل الموريا (هضبة الحرم) يقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من القدس، وهو واحد من خمسة تلال أو جبال بنيت عليها القدس[1].

وهذه التلال الخمسة تكون هضبة جبلية مرتفعه عن سطح البحر والمدينة فوقها. وتحيط بالقدس عدة جبال أشهرها جبل الزيتون. فهل كان عمر أو أحد من المسلمين ممن معه يعلم موقع الحرم القدسى من المدينة المقدسة أو فى أى مكان يقع هو منها؟

لا يوجد ما يشير إلى معرفة أو عدم معرفة عمر والمسلمين عند دخول القدس بموقع المسجد الأقصى من المدينة غير رواية الوليد بن مسلم عن شيخ من ولد شداد بن أوس عن أبيه عن جده أن عمر لما فرغ من كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس قال لبطريقها: «دلنى على مسجد داوود . . . حتى دخلنا بيت المقدس، فأدخلنا الكنيسة التى يقال لها كنيسة القيامة، وقال: هذا مسجد داوود ونظر عمر وتأمل وقال له: كذبت. فمضى بهم إلى كنيسة يقال لها صهيون وقال: هذا مسجد داودد. فقال: كذبت. فانطلق به إلى مسجد بيت المقدس»[2].

(*) انظر خريطة القدس وموقع الحرم منها ص ٣٦.

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٠.

(٢) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

ففى هذه الرواية لم يكن عـمر يعلم موقع المسـجد الأقصى من بيت المقدس، وإن كان يعلم صفته ووصفه والصفة والوصف أخص من الموقع، فعصمته معرفته بها من أن يضلله البطريق فى الموقع.

ثالثـًا: كيف كـان يعرف البطريق وأهل القـدس أن هذا هو المكان المقدس؟.

كيف علم البطريق الذى استدل به عمر أن هذا المكان هو المكان المقدس مع كـونه قد صار على مر القـرون خربًا مهجـورًا، وصخرته التى يبلغ ارتفاعها حوالى متر وربع إلى مترين[1] قد دفنت تحت تلال القمـامة واضطر عمر ﷺ إلى الاسـتعانة بكعب اليهـودى ليدله على موقعها من الساحة الشاسعة؟.

فـفـى رواية الوليـد بـن مـسلم الـمـؤرخ[2] والمـتـقى الهندى (ت٩٧٥هـ) فى كنز العـمال[3] والحافظ ابن عـساكر فـى تاريخ مدينة دمشق[4] بسنده عن هشام بن عمار الهيثم قـال: سمعت جدى عبد الله ابن أبى عبد الله يقول: «ثم جاء عمر ومعه كعب فقال: يا أبا إسحاق!

(١) العلامة محمـد كرد على. خطط الشام جـ٥ ص ٢٥٤ ط٢ بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

(٢) اتحاف الأخصا جـ ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٦.

(٣) العلامـة علاء الدين على المتـقى بن حسام الدين الهندى البـرهان فورى. كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ج٥ ص ٤٠٧ حديث ١٤٢١٥ ضبطه وفسر غريبـه الشيخ بكر حيانى. صحـحه ووضع فهارسه ومفتـاحه الشيخ صفوة السقا. مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٤) الحافظ ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق جـ٢ ص ١٧١.

أتعرف موقع الصخرة؟ فقال: أذرع من الحائط الذى يلى وادى جهنم كذا وكذا ذراعًا ثم احفر (احتفر فى كنز العمال) فإنك تجدها، وهى يوم إذ مزبلة فحفروا فظهرت».

كيف كان البطريق يعلم إذًا أن هذه الساحة المملوءة بالقمامة هى مسجد داوود المقدس؟

عُلمت قداسة المكان ابتداء بطمره بالقمامة! ذلك أن الرومان ما حولوه إلى مزبلة إلا نكاية فى اليهود لأنه مكانهم المقدس، فعُلمت قداسته بتخصيصه بالأقذار قصدًا، والمكان تعلم خصوصيته بشرفه عند أهل ملته، كما تعلم بالإزراء به عند خصومهم. فحرص الرومان على إهانة المكان حفظ له خصوصيته ودل على قدسيته.

والأمر الثانى: أنه ما كان ليخفى على البطريق ولا على أحد من أهل بيت المقدس موقع المكان وهو محط أنظار اليهود ومحجهم ومبكاهم على خراب الهيكل، فلم ينقطع اليهود عن زيارة جبل الهيكل إلا فى الفترة التى حظر عليهم الرومان فيها دخول المدينة بعد صدور مراسيم هادريان سنة ١٣١م. وحتى خلال فترة الحظر هذه التى امتدت حتى بداية القرن الثالث الميلادى كان اليهود يحجون إلى إيلياء ويطوفون حول الأسوار دون دخول المدينة ويصعدون جبل الزيتون خارج السور الشرقى للبقعة المباركة، وهو نفسه جزء من سور المدينة، ثم يبدأون فى التطلع إلى «جبل الهيكل» والبكاء والنحيب على ضياعه.

ومع بداية القرن الثالث الميلادى خفف الخطر وسمح لليهود بدخول المدينة والذهاب لرؤية جبل الهيكل والبكاء عليه، لكن بعيداً

وفى منتصف القرن الرابع الميلادى سمح لليهود بدخول جبل الهيكل لمدة يوم واحد كل عام، هو اليوم التاسع من شهر آب اليهودى الذى يوافق ذكرى خراب الهيكل[1].

وفى أواخر القرن الرابع رفع الحظر عن اليهود واستطاعوا الإقامة فى المدينة مرة أخرى، فأصبحت صلتهم بمنطقة جبل الهيكل متصلة مستمرة، وتوافد الحجاج اليهود على المدينة حيث تبدأ زيارتهم بالوقوف على جبل الزيتون حفاة الأقدام متطلعين إلى الجبل المقدس باكين منتحبين على تهدم الهيكل ثم يدخل الحاج المدينة صاعدًا جبل الهيكل باكيًا لاطمًا من أجله[2].

فالمكان المقدس كان معلومًا لكافة أهل بيت المقدس ولبطريقهم لديمومة اتصال اليهود به وصعودهم إليه وانتحابهم عنده على خراب الهيكل.

ثالث ما يستدل به على عدم خفاء الموقع المقدس على البطريق وتعيين أهل بيت المقدس له أن جبل الهيكل وإن لم يكن مقدسا عند الإمبراطورية الرومانية النصرانية المسيطرة على المدينة فإن له

(١) المدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٢٥٨، القدس الخالدة ص ١٥٥

(٢) القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٢٥٨

خصوصية شديدة عند النصارى لارتباط الهيكل بأحداث حياة المسيح عليه السلام. فجبل الهيكل شهد المسيح عليه السلام وهو يتجول فيه ويعظ اليهود ويوبخهم وينذرهم، وطريق الآلام الذى سار فيه المسيح حتى مكان الصلب حسب الاعتقاد المسيحى يبدأ من الهيكل، وخراب الهيكل عند النصارى دليل على صدق المسيح، إذ هو الذى تنبأ بخرابه وهدمه: «فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض»(١).

لذا كان حجاج النصارى على قلة قدسية المكان عندهم واحتلال مواقع قبر المسيح وقيامته ـ حسب اعتقادهم ـ عندهم المحل الأرفع، يحرصون على زيارة جبل الهيكل لاسترجاع أحداث حياة المسيح ومسيرة آلامه ولرؤية ما تحقق من نبؤته رأى العين.

فحاج بوردو الذى زار إيلياء عام ٣٣٠م كان حاجًا نصرانيًا لا يهوديًا، ومع ذلك بدأ زيارته للمدينة برؤية جبل الهيكل والتجول فيه مما يدل على معرفته التامة به وبموقعه، إذ شرع فى زيارته بمجرد دخوله المدينة وقبل أن يذهب إلى الأماكن المقدسة المسيحية كالجلجثة وموضع القبر وكنيسة القيامة.

إذًا الموقع المقدس كان معلومًا متيقنًا عند اليهود بقداسته لديهم وتدفقهم السنوى عليه عند الحظر والتصاقهم به بعد رفعه، وعند

---

(١) متى ٢٤: ٢ ـ ٣

النصارى بكونه أحد محاط الحاج إلى المدينة المقدسة لشهوده أحداث حياة المسيح ولكونه تحقيقًا لنبؤته، وكان معلومًا عند أهل بيت المقدس جميعًا لقدسيته عند هؤلاء وأولئك ولاختصاص الرومان له بالزراية والإهانة نكاية في اليهود.

ويبقى مع هذا أن يؤخذ في الاعتبار العامل الجغرافي - الطبوغرافي، وهو أن المكان المقدس هضبة قائمة بنفسها تحيط بها الوديان، فليست البقعة المباركة أرضًا منبسطة تتصل بغيرها من الأرض من أي جهة من جهاتها حتى يختلط بينها وبين غيرها فيضاف إليها ما ليس منه أو يضاف لغيرها ما هو منها.

فالهضبة المقدسة محيزة بنفسها قبل أسوارها، وحدودها هي موقعها.

رابعًا: هل كان عمر بن الخطاب يعلم وصف المسجد الأقصى وصفته قبل أن يراه؟.

في رواية الوليد بن مسلم عن شيخ من ولد شداد بن أوس عن أبيه عن جده أن عمر رضي الله عنه قال لبطريق القدس: دلني على مسجد داوود. قال: نعم. فأدخلهم الكنيسة التي يقال لها القيامة وقال: هذا مسجد داوود. فنظر عمر وتأمل وقال له: كذبت. ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داوود بصفة ما هي هذه. فمضى به إلى كنيسة يقال لها صهيون وقال له: هذا مسجد داوود. فقال له: كذبت. فمضى به إلى مسجد بيت المقدس حتى انتهى به إلى الباب وقد انحدر ما في

المسجد من الزبالة على درج الباب فقال له: لا تقدر أن تدخل إلا حبواً. فقال عمر: ولو حبواً. فحبا بين يدى عمر وحبا عمر ومن معه خلفه حتى ظهروا إلى صحنه واستووا فيه قياما فنظر عمر وتأمل مليا ونظر يمينًا وشمالاً ثم قال: الله أكبر! هذا والذى نفسى بيده مسجد داوود، عليه السلام، الذى أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسرى به إليه[1]. فهذه الرواية تدل على معرفة عمر بصفة المسجد الأقصى المنصوص عليه فى آية الإسراء وعلمه بوصفه وعلاماته، فلم يستطع البطريق تضليله لوثوقه (عمر) من عدم انطباق ما عنده من صفة ووصف على كنيسة القيامة وكنيسة صهيون، وانطباقه على الحرم القدسى.

ولو لم يكن عمر على علم تام بالصفة والوصف والعلامات ما استطاع التمييز بينها، ولكان الحرم القدسى آخر ما يمكن أن يرد على ذهنه بالقداسة المسجدية لكونه مزبلة مملوءة بالقمامة على خلاف الكنائس المذكورة.

ومما يشهد لصحة هذه الرواية ومعرفة عمر، بل وكثير من المسلمين التامة بصفة ووصف المسجد الأقصى أن أحاديث الإسراء فى السنة المطهرة ورد فيها أن النبى ﷺ وصف المسجد الأقصى مرتين على الأقل، المرة الأولى حين كذبه مشركو مكة «قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: نعم. قال: فذهبت أنعت حتى

(١) الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦، اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦.

التبس على النعت. قال: فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل. قال: فنعته وأنا أنظر إليه»[1].

وفي رواية البخاري[2] ومسلم[3] والترمذي[4] والإمام أحمد[5] عن جابر بن عبد الله: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا انظر إليه».

وبعد ذلك «ذهب الناس إلى أبي بكر ... ثم أقبل أبو بكر حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله! أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم. قال: صدقت. فصفه لي يا نبي الله فإني جئته. فقال رسول الله ﷺ: فرفع لي حتى نظرت إليه، فجعل يصفه لأبي بكر وهو يقول: صدقت أشهد أنك رسول الله حتى انتهى»[6].

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٣ ص ٢٥٢ حديث رقم ٢٨٢٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير. باب قوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ حديث رقم ٤٧١٠ جـ٣ ص ٤٧٥

(٣) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله. حديث رقم ٢٧٦ جـ١ ص ١٥٨.

(٤) الجامع الصحيح: كتاب التفسير. باب: «من سورة بني إسرائيل». حديث رقم ٣١٣٣ جـ٥ ص ٣٠٠.

(٥) المسند. حديث رقم ١٤٩٧٤ جـ١٢ ص ٥٩.

(٦) هكذا رواه ابن إسحق في السيرة النبوية جـ٢ ص ٣٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد دار إحياء الكتاب العربية.

ففى هذه الحادثة أن النبى ﷺ وصف المسجد على ملأ من قريش مرتين وأنه ﷺ حدد لهم آياته، والآية لغة العلامة.

فصحابة النبى ﷺ كانوا على علم بوصف المسجد وبما فيه من علامات تمنع اختلاط وصفه بوصف غيره.

ويوجد فى السنة المطهرة ما يشير إلى تحديث النبى ﷺ أصحابه بخبر المسجد الأقصى ووصفه لهم حتى وكأنه شاخص أمام أعينهم متحيز فى أذهانهم. كيف لا وهو القبلة الأولى؟! فقد روى البخارى[1] ومسلم[2] والإمام أحمد[3] عن البراء بن عازب قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة».

من ذلك ما رواه النسائى[4] (ت٣٠٣هـ) وابن ماجه[5]

(١) صحيح البخارى. كتاب التفسير. باب ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم﴾ حديث رقم ٤٤٨٦ جـ٣ ص ١٣٥٦.

(٢) صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب تحويل القبلة. حديث رقم ٥٢٥ جـ١ ص ٣٧٤.

(٣) المسند. حديث رقم ١٨٤٠٧ جـ١٤ ص ١٩١.

(٤) الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بحر النسائى. سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى. كتاب المساجد. باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه جـ ٢ ص٣٤.

(٥) الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن مالك الربعى القزوينى (ابن ماجه). سنن ابن ماجه. أبواب إقامة الصلاة. باب ما جاء فى الصلاة فى مسجد بيت المقدس. حديث رقم ١٤٠٦ جـ١ ص ٢٥٧ تحقيق وفهرسة محمد مصطفى الأعظمى. شركة الطباعة العربية السعودية ط٢ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(ت٢٧٣هـ) والإمام أحمد[1] عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داوود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغى لأحد من بعده»، وفى لفظ ابن ماجه: «وألا يأتى هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال رسول الله ﷺ: أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة». وفى لفظ الإمام أحمد: «وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه».

وموضع استشهادنا هو قوله ﷺ «ألا يأتى هذا المسجد» و «لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد». فاسم الإشارة «هذا» ولام العهد (الـ) فى كلمة المسجد تدل على أن الكلام عن معلوم عند من يتحدث ﷺ إليهم لا عن مجهول لا يعلمون صفته وإلا لقال ﷺ: «ولا يأتى أحد مسجده أو المسجد الذى بناه» مثلاً. فاسم الإشارة ولام العهد دلت على أن المسجد الذى يتحدث عنه النبى ﷺ إليهم معروف معهود عندهم مألوف فى أذهانهم.

إذًا عمر رضي الله عنه قد عين موضع المسحد من المدينة بمعرفة بطريق القدس له، وهو رضي الله عنه كان يعلم يقينًا صفة المسجد الأقصى ووصفه.

والسؤال: ما هو هذا المسجد الذى يعلم عمر صفته ووصفه؟

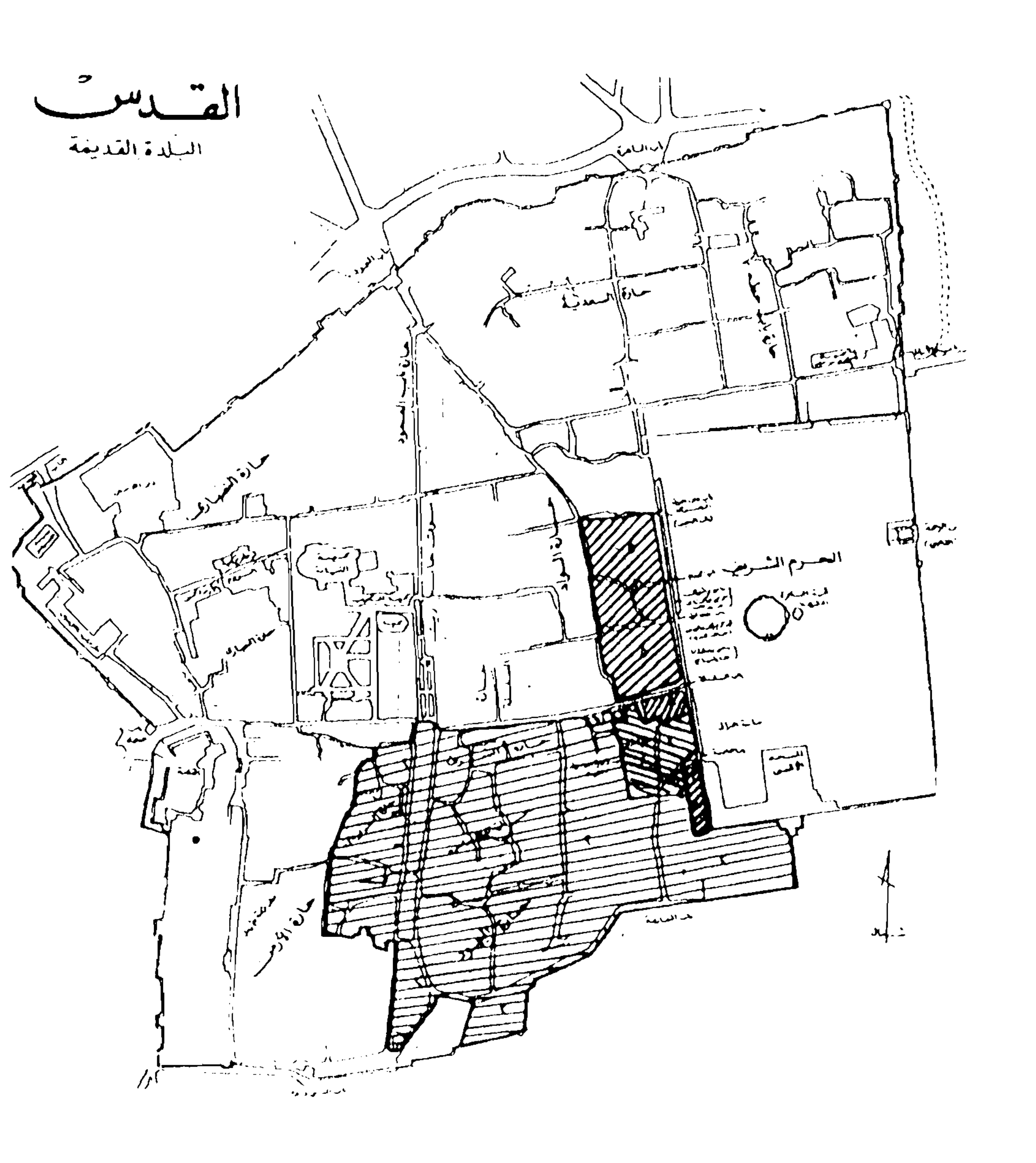
(١) المسند. حديث رقم ٦٦٤٤ جـ٦ ص ٢٠٢.

وهل يوجد فى الروايات ما يوصح بالضبط الصفة والوصف ومن ثم يحدد المسحد؟

وبصيغة أوضح: البقعة التى قال عنها عمر إنها مسجد داوود الذى وصفه له النبى ﷺ . أن يكون واحدة من S ـإما الصخرة وصحنها، أو الساحة الشاسعة الاتساع التى هى سطح الهضبة والصخرة تقع فى منتصفها، أو الجزء الجنوبى من هذه الساحة والذى اختاره عمر دون باقى أجزاءها للصلاة فيه ثم اتخذ منه المصلى، وهو الجزء الذى أقيم عليه لاحقًا الجامع المسمى بالمسجد الأقصى على خلاف بين المؤرخين الإسلاميين هل بناه عبد الملك بن مروان أم بناه ابنه الوليد، أم بدأ بناءه عبد الملك وأتمه الوليد!

فأى من هذه هو المسجد الأقصى القرآنى؟.

نوثر قبل الإجابة على السؤال تحقيق صفة وهيئة دخول عمر رضي الله عنه الحرم القدسى الشريف وتقديم مشهد متكامل (-١ حدث داخل الحرم عند ا+



خريطة القدس موضح بها موقع المسجد الأقصى القرآنى

عمر فى المسجد الاقصى

رغم الاختلاف الظاهر بين الروايات المتعددة التى تصف هيئة وكيفية دخول عمر ساحة الحرم وما فعله فيه، فإنه يمكن الجمع بين هذه الروايات المتعددة ويذوب ما بينها من اختلاف، بل وتصبح متسقة متآلفة يقوى بعضها بعضًا ويفسر أجزاء بعضها ما غمض من أجزاء لبعض الآخر إذا اعتبرنا أن هذه الروايات المتعددة المختلفة ظاهرًا لا تصف الحادثة تامة كاملة، بل تصف كل رواية جزء مما حدث فقط لا كل ما حدث، وكأنها صور تتابع فى مشهد واحد.

هذه الروايات المتعددة تجتمع لتقديم مشهد واحد متسق لما حدث بمجرد تجلية بعض الغوامض داخل هذه الروايات:

أولاً: مسألة كعب الأحبار:

كعب الأحبار هو أبو إسحق كعب بن ماتع الحميرى اليمانى الكتابى. والرواية التى أوردها الطبرى (ت٣١٠هـ) فى تاريخه[١] عن رجاء بن حيوة عمن شهد تجعل كعباً شخصية محورية فيما حدث داخل ساحة الحرم، إذ وقف عمر فى منتصف الساحة وقال: على بكعب، ثم استشاره عمر حسب الرواية فى مكان المصلى. وهو ما تشهد له رواية الإمام أحمد عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: أين ترى أن أصلى؟»[٢].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ٦١٠.

(٢) المسند. حديث رقم ٢٦١ جـ١ ص ٢٧٧

فكأن عمر يعرفه معرفة وثيقة بل ويعرف عنه العلم وإلا ما سأله.

وفى رواية الوليد بن مسلم[1] وفى كنز العمال[2] وتاريخ مدينة دمشق[3] عن هشام بن عمار الهيثم قال: سمعت جدى عبد الله يقول: «فقال له عمر: يا أبا إسحق أتعرف موضع الصخرة»؟ ففى هذه الرواية لم يستشر عمر كعباً فى مكان المصلى فقط ولكنه استعلمه عن مكان الصخرة، وكان هو الذى دله على موضعها وهى مخفية تحت القمامة.

وعمر بن الخطاب الخبير بالرجال البصير بالنفوس ما كان ليستعلم من كعب ولا ليسأله إلا وهو يعلم أن كعبًا «روى عن أهل الكتاب وهو غالبًا يعرف حقها من باطلها لسعة علمه وكثرة اطلاعه»[4].

أين المسألة؟

أورد الواقدى فى فتوح الشام[5] رواية دون سند عن شهر بن حوشب عن كعب الأحبار نفسه أن أباه قبل وفاته أودعه كتابًا وأوصاه ألا يفتحه حتى يسمع بخبر نبى آخر الزمان. فلما سمع كعب ببعثة

(١) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأندلس الجليل جـ١ ص ٢٥٦.

(٢) كنز العمال. حديث رقم ١٤٢١٥ جـ٥ ص ٧٠٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق جـ٢ ص ١٧١.

(٤) الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام جـ٢ ص ١٥٦ دار الغد العربى ط١ ١٩٩٦م.

(٥) محمد بن عمر الواقدى. فتوح الشام جـ١ ص ١٨٧ المطبعة العامرة السنية لمالكها ومديرها الشيخ عثمان عبد الرازق. ربيع الآخر ١٣٠٢هـ.

النبى ﷺ فتح الكتاب فوجد فيه صفة النبى ﷺ وصفة أمته، وهم بالذهاب للإسلام إلى النبى ﷺ ثم إلى أبى بكر ﷺ، فلم يزل يتأخر حتى قدم عمر «فقيل لى إنه ببيت المقدس، فقصدت إليه وإذا به قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة، فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد السلام وقال لى: من أنت؟ قلت له: كعب الأحبار».

ففى رواية الواقدى أن كعباً لم يدرك عمر إلا بعد صلاته، بل إن عمر لم يكن يعرفه من قبل حتى عرفه بنفسه.

هل كان كعب موجوداً فى حادثة دخول الحرم واختيار المصلى وأمير المؤمنين يعرفه ويطلبه ثم يسأله ويستشيره، أم لم يكن موجوداً فيخرج بذلك خارج دائرة الحدث ومن ثم تسقط كل الروايات الأخرى وما ينبنى على وجوده فيها من آثار؟

رواية الواقدى عن شهر بن حوشب عن كعب دون سند أوردها الحافظ ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق[1] بسندها من طريق المسيب ابن رافع عن كعب الأحبار ومن طريق المقبرى عن أبى هريرة. ورواية الحافظ ابن عساكر تخالف رواية الواقدى فى أمرين هما موضعانا:

الأمر الأول: أن ليس فيها تحديد للمكان الذى أتى فيه كعب عمر وأسلم على يديه: «فغدوت فسألت عن أمير المؤمنين حتى دخلت

(١) الحافظ ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق جـ ٥٠ ص ١٦٢.

عليه فأخبرته هذا الخبر (الكتاب الذى ورثه عن أبيه وما فيه) وأسلمت وقربنى».

والأمر الثانى: أنه ليس فى رواية الحافظ ابن عساكر أى ذكر لصلاة عمر داخل المسجد الأقصى أو موضعها.

بل قد روى الحافظ ابن عساكر[1] نفسه والمتقى الهندى فى كنز العمال[2] والوليد بن مسلم المؤرخ[3] عن هشام بن عمار (نا الهيثم بن عمر[*]) سمعت جدى يقول: «لما ولى عمر بن الخطاب زار أهل الشام فنزل بالجابية... فأرسل عند ذلك رجلاً من جديلة ولم يدخلها هو إلى بيت المقدس فافتتحها صلحًا ثم أتاها عمر ومعه كعب».

فى رواية الحافظ ابن عساكر والمتقى الهندى أتى كعب عمر ليسلم وعرفه بنفسه فى الجابية[**] وهو يعقد الصلح، وهو ما يعنى أن عمر دخل المدينة المقدسة والمسجد وهو يعلم كعبًا جيدًا ويعلم

(١) الحافظ ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق جـ٢ ص ١٧٠.

(٢) كنز العمال. حديث رقم ١٤٢١٥جـ ٥ ص ٧٠٤.

(٣) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٦

(*) عند الحافظ ابن عساكر فقط.

(**) الجابية بكسر الباء وياء مخففة هى قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمال حوران. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى. معجم البلدان جـ٢ ص ٩١ ترتيب محمد أمين الخانجى بقراءته على الشيخ أحمد الأمين الشنقيطى. مطبعة السعادة ط١ ـ ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م.

موقعه من علم أهل الكتاب. فلا محل لأن يسأله: من أنت؟ حسب رواية الواقدى.

وفى رواية الواقدى نفسها قرينة تدل على خطأها وهى قوله إن كعبًا «أتى عمر وإذا به قد صلى بأصحابه خلف الصخرة»، إذ لم تتفق الروايات على اختلافها على شىء قدر اتفاقها فى أن عمر لم يصل إلى الصخرة مطلقًا وإنما كانت صلاته فى مقدمة المسجد.

وما يرجح عقلاً وجود كعب داخل المسجد الأقصى وحضوره لوقائع عمر بن الخطاب فيه بعد التحقق من إسلام كعب ومعرفة عمر به قبل دخول ▬ المقدس أن عمر الذى ما رأى المسجد الأقصى من قبل وما كان يعلمه إلا وصفاً كان بحاجة فعلاً إلى كتابى لاسيما إذا كان كتابياً عليماً ليكون دليله فيما قد يخفى عليه مما يعلم علمه به من صفة مسجد داوود.

ثانيًا: هل صلى عمر فى مقدمة المسجد وقبلته قبل استشارة كعب أم بعد استشارته؟

فى رواية الطبرى[1] عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن عمر لما دنا من باب المسجد قال: ارقبوا لى كعبًا، فلما انفرق الباب . . . فقصد المحراب محراب داوود عليه السلام وذلك ليلاً فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدم فصلى بالناس ثم انصرف فقال: علىَّ بكعب، فأتى به فقال: أين ترى أن نجعل المصلى؟ فقال: إلى الصخرة».

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ١٠٦

وفى رواية الإمام أحمد[١] التى نقلها عنه المنهاجى السيوطى[٢] (ت ٨٨٠هـ) والقاضى مجير الدين الحنبلى[٣] (ت ٩٢٨هـ) دون ذكر سندها ولا مصدرها، عن عبيد آدم: سمعت عمر يقول لكعب: أين ترى أن أصلى؟ قال: إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة. فقال عمر: ضاهيت اليهودية. لا، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى».

وفى رواية الوليد بن مسلم[٤] وفى كنز العمال[٥] وتاريخ مدينة دمشق[٦] عن هشام بن عمار نا الهيثم بن عمر سمعت جدى عبد الله يقول: «... أن عمر أتاها ومعه كعب فقال له: يا أبا اسحق أتعرف موضع الصخرة؟ فظهرت لهم. فقال عمر لكعب: أين ترى أن نجعل المسجد أو القبلة؟ قال: اجعله خلف الصخرة. فقال عمر: ضاهيت اليهودية. خير المساجد مقدمها».

فى رواية الطبرى أن عمر رضي الله عنه صلى فى مقدمة المسجد قبل أن يسأل كعبًا مرتين لا مرة واحدة، المرة الأولى عند دخوله المسجد (وكان ذلك ليلاً) والثانية صلاة الفجر.

---

(١) المسند حديث رقم ٢٦٢ جـ١ ص ٢٧٧.

(٢) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٦

(٤) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٦

(٥) كنز العمال حديث رقم ١٤٢١٥ جـ٥ ص ٧٠٤.

(٦) تاريخ مدينة دمشق جـ٥٠ ص ١٦٢

وفى رواية الإمام أحمد والوليد بن مسلم والحافظ ابن عساكر والمتقى الهندى لا تذكر صلاة عمر فى قبلة المسجد إلا بعد سؤاله كعبًا ثم مخالفته إياه.

وهذه الروايات إذا جمعت قدمت وصفًا متسقًا يفسر بعضه بعضًا ويكون ما حدث أن عمر دخل ساحة الحرم ليلاً فقصد من فوره إلى صدر المسجد وقبلته محراب داوود فصلى (ولم يلبث أن طلع الفجر) فصلى عمر فى مقدمة المسجد وصدره أيضًا صلاة الصبح، وبعد ذلك سأل كعبًا فأشار عليه بالصخرة فخالفه.

ويثب إلى الذهن سؤالان:

الأول: إذا كان عمر قد صلى فى مقدمة المسجد قبل أن يسأل كعبًا فلم سأله وهو قد اختار مكانًا وصلى فيه فعلاً، مرتين لا مرة واحدة، سنة وفريضة؟.

والإجابة هى:

أولا: إن بعض الروايات تنص على أن عمر استشار كعبًا فى مكان أو موقع المصلى وهى رواية الطبرى عن رجاء بن حيوة عمن شهد أو المسجد وهى رواية الوليد بن مسلم وابن عساكر والمتقى الهندى عن هشام بن عمار عن الهيثم بن عمر عن جده. وهذه الروايات أدق من تلك التى تنص على أن عمر استشار كعبًا أين يصلى وهى رواية الإمام أحمد والمنهاجى السيوطى ومجير الدين الحنبلى عن عبيد بن آدم.

فعمر كان قد صلى فعلاً فى المحراب - صدر المسجد.

ثانيا: وهو السؤال الثانى: إذا كان عمر قد نوى فى نفسه ابتداء أن يجعل مصلى المسلمين ومسجدهم داخل ساحة الحرم فى صدرها ومقدمها لا عند الصخرة ولا فى أى مكان آخر بدليل مخالفته إشارة كعب ففيم سؤاله إذًا؟

والجواب هو أن عمر ما سأل كعبًا فى هذه المسألة تحديدًا استفهامًا ولا استعلامًا، وإنما سأله عنها اختبارًا لسريرته ليكشف بسؤاله ما هو مخبؤ فى طويته.

يشهد لذلك أن عمر كان يرقب كعبًا عند دخوله المسجد ليرى فعله وسلوكه داخله. ففى رواية الطبرى عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن كعبًا حين أشار على عمر بالصخرة قال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب. وقد رأيتك وخلعك نعليك فقال: أحببت أن أباشره بقدمى»[1].

فعمر كان يرقب كعبًا اليهودى الأصل قبل استشارته بعين فاحصة، فلما رآه يفعل فى المسجد غير فعل المسلمين ممن دخل مع عمر سأله كشفًا لما فى نفسه من آثار اليهودية.

فعمر كما أسلفنا كان بحاجة إلى كتابى يهودى عليم يكون دليله على ما قد يخفى عليه من صفة المسجد المقدس المفصل فى التوارة، ولكنه لم يكن بحاجة ليهودى أسلم على يديه ليعرفه ما هو أعلم به من مكان القبلة والمصلى فى مساجد الإسلام.

---

(٤) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ١٠٦.

ثالثًا: هل صلى عمر قبل تطهير المسجد أم بعد تطهيره؟

فى رواية الطبرى عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن عمر لما خالف كعبًا .JC له: «اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة فجعل قبلته صدره، ثم قام من مصلاه إلى كناسة كانت الروم دفنت بها بيت المقدس وقال: L أيها الناس اصنعوا كما أصنع»[(١)].

وفى رواية الإمام أحمد[(٢)] عن عبيد بن آدم أن عمر قال: «لا ولكنى أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس».

والروايتان تتفقان على أن عمر صلى أولاً فى صدر الحرم أو قبلته ثم كنس القمامة المكدسة حول الصخرة وصحنها.

أما رواية الوليد بن مسلم المؤرخ[(٣)] والحافظ ابن عساكر[(٤)] والمتقى الهندى[(٥)] عن الهيثم بن عمر عن جده أن عمر «جاء مع كعب فقال له: Li 4 اسحق أتعرف موضع الصخرة؟ وهى يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم فقال عمر لكعب: أين ترى أن نجعل المسجد؟ J L عمر: خير المساجد مقدمها».

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) المسند. حديث رقم ٢٦١ جـ١ ص ٢٧٧.

(٣) اتحاف الأخصا حـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق جـ ٥٠ ص ١٦٢.

(٥) كنز العمال حديث رقم ١٤٢١٥ جـ٥ ص ٧٠٤.

وفى رواية للوليد بن مسلم[1] : حدثنى شداد عن أبيه أن «عمر مضى إلى مقدمه مما يلى الغرب فحثى فى ثوبه الزبل وحثونا معه فى ثيابنا ومضى ومضينا معه حتى ألقيناه فى الوادى الذى يقال له وادى جهنم، ثم عاد وعدنا حتى صلينا فيه».

فى رواية الوليد الأولى والحافظ ابن عساكر والمتقى الهندى أن عمر ذهب إلى مقدمة الحرم بعد تنظيف الصخرة، وفى الرواية الثانية للوليد أن عمر ما صلى فى مقدمة المسجد إلا بعد إزالة الزبالة منها.

وهاتان الروايتان الأخيرتان تخالفان رواية الإمام أحمد ورواية الطبرى، فالصلاة فيهما لم تكن إلا بعد إزالة القمامة، وعند الإمام أحمد والطبرى أن عمر صلى أولاً ثم أزال الزبالة.

وهذا ليس باختلاف ولا تعارض والجمع بين الروايات يفسرها جميعًا ويكون ما حدث هو أن عمر دخل ساحة الحرم وقد كثرت فيها القمامة، إلا أن كثافة القمامة والزبل لم تكن فى صدر المسجد كما فى صحنه ووسطه وحول الصخرة خاصة. فالصخرة وصحنها كانت أكثر مناطق الحرم امتلاء بالقمامة، إذ هى أخص موضع عند اليهود ومن ثم خصها الرومان أكثر بالزراية نكاية فيهم وواروها بالقمامة عن أنظارهم.

وفى رواية سعيد بن عبد العزيز والتى نقلها عنه الحافظ ابن

---

(١) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٧.

كثير[1] والمنهاجى السيوطى[2] أن المزبلة العظيمة كانت على صخرة بيت المقدس تحديدًا. وحتى الصخرة كانت القمامة قد أزيلت من عليها ومن حولها قليلاً دون كشفها. ففى رواية سعيد بن عبد العزيز هذه أن هرقل وبخ الروم على انتهاكهم حرمة هذا المكان المقدس وأنذرهم: إنكم لخليقون أن تقتلوا على هذه المزبلة كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحى بن زكريا، وأمر بكشفها فشرعوا فى ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون.

لما دخل عمر ﷺ ساحة الحرم توجه إلى محراب داوود فى القبلة فأزال ما تناثر من القمامة من منطقة الصخرة إلى «مقدمه مما يلى الغرب» ثم صلى ليلاً.

ولم يلبث أن طلع الفجر فذهب عمر إلى قبلة المسجد وصدره فى محراب داوود فصلى صلاة الفجر إمامًا بالمسلمين. ففى رواية الطبرى[3] عن أبى مريم مولى سلامة وروايته عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن عمر «أمر المؤذن بالإقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم «ص» وسجد فيها، ثم قام وقرأ بهم فى الثانية صدر بنى إسرائيل ثم ركع ثم انصرف».

وبعد الفجر شرع عمر فى تنظيف الصخرة وتطهير موضعها بعد أن

(١) الحافظ ابن كثير. البداية والنهاية جـ٧ ص ٥٣.

(٢) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ١٠٦.

عرفه من كعب، ثم استشار عمر كعبًا بعد أن أظهر الصخرة وكشفها في المكان الذى يتخذه داخل الحرم مسجدًا أو مصلى للمسلمين وخالفه.

على أن عمر بعد أن أظهر الصخرة المقدسة وكشفها فبانت له ترك ما تبقى من قمامة القرون المتطاولة فى الصحن وما تناثر منها فى أنحاء الحرم ليزيله أنباط فلسطين.

ففى رواية أخرى لسعيد بن عبد العزيز[1] أن عمر رضي الله عنه «تسخر أنباط أهل فلسطين فى كنس بيت المقدس وكانت فيه مزبلة عظيمة».

---

(١) البداية والنهاية جـ٧ ص ٢٥٤، كنز العمال حديث رقم ١٤٢٢٠ جـ٥ ص ٧٠٤.

الباب والليل والمحراب والفجر:
غرائب يفسر بعضها بعضا

تستوقف النظر الفاحص غرائب عدة فى روايات دخول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحرم القدسى، غرائب فى سلوك عمر رضي الله عنه عند دخوله المسجد وترتيب ما فعله فيه واختياره وقت دخوله.

أولاً: الباب:

جاء فى رواية الوليد بن مسلم[1] عن شيخ من ولد شداد بن أوس أن عمر بن الخطاب لما حاول البطريق تضليله فلم يفلح ذهب إلى مسجد بيت المقدس «حتى انتهى على بابه الذى يقال له باب النبى أو باب محمد» ثم دخلوا منه حبواً.

وباب النبى ﷺ يقع فى آخر الجهة الغربية من سور مسجد بيت المقدس[2].

والجهة الغربية من سور الحرم هى الجهة التى تواجه مدينة القدس وتطل عليها، وهذه الجهة أيضًا هى أحد الضلعين الطويلين فى مستطيل الحرم واتجاههما من الشمال إلى الجنوب، أى من مؤخرة الحرم إلى صدره وقبلته.

(١) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٦.

(٢) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٠٥، الأنس الجليل جـ٢ ص ٣١، عارف باشا العارف. تاريخ القدس ص ٣٠٢ دار المعارف ١٩٥٣م.

إذًا دخل عـمر المـسجـد من الباب الذى يقع فى أقـصى جنوب الضلع الغربى الطويل من سور الحرم القدسى.

فـهل كان دخـول عـمر ﷺ المـسـجد من هـذا الباب مـحض مصادفة؟.

ربما نجد تفسيراً قريبًا لاختيار عمر هذا الباب كى يدخل منه ساحة الحـرم، وهو أنه أقرب باب من أبواب الحـرم من هذه الجـهة للقـبلة ومـحـراب داوود، وهو المكان الذى صلى فـيـه عـمـر عند دخـوله المسجد ثم اختاره مصلى بعد تنظيف الصخرة. ولكن ثم ما يجعلنا لا نكتفى بهذا التفسير الظاهر بـل نعدل عنه إلى تفسير آخر هو رباط لهذه الغرائب معًا وتفسير لها مجتمعة.

فى هذا الباب صفة لا توجد فى أى باب من أبواب الحرم غيره.

فقـد روى الحافظ الطبـرانى (ت٣٦٠هـ) فى المـعجم الكبـير[١] والإمام البـزار (ت: ٢٩٢هـ) فى مسنده[٢] والإمام البيـهقى فى دلائل

(١) الحافظ أبو القاسم سليـمان بن أحمد الطبرانى. المعجـم الكبير. حديث رقم ٧١٤٢ جـ٧ ص ٢٨٣ تحـقيق حـمدى عـبد المـجيـد السلفى. وزارة الشئـون الدينية بالجـمهـورية العراقـية. طبع بمطبـعة الزهراء الحـديثة. الموصل. بغداد ط٢ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الحـافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيـتمى. كـشف الأستـار عن زوائد البزار على الكتب الستة (وهو ترتيب على أبواب الفـقه لمسند الإمام البزار المسـمى بالبحر الزخـار). كتاب الإيمان. باب الإسـراء. حديث رقم ٥٣ جـ١ ص ٣٥ تحقـيق العلامة الشيخ الـمحدث حبـيب الرحمن الأعظمى. مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

النبوة[١] وقال إسناده صحيح بسنده عن شداد بن أوس رواية للإسراء جاء فيها قول النبي ﷺ : «فانطلق بي (جبريل) حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأتى قبلة المسجد فربط بها دابته ودخلت المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر».

وقد «قال موقتو بيت المقدس: لا نعلم بالمسجد بابا بهذه الصفة إلا باب المغاربة[٢]».

وباب المغاربة هو باب النبي ﷺ وقد سمي بباب المغاربة لمجاورته للمنطقة التي أوقفها العارف بالله أبو مدين الغوث سنة ٧٢٠هـ على الحجاج المغاربة والتي أصبحت تعرف بحي المغاربة.

إذًا دخل عمر رضي الله عنه المسجد المقدس من الباب الذي دخل منه النبي ﷺ في رحلة الإسراء الشريف، والذي وصفه ﷺ بعلامة يعرفه أصحابه بها فلا يخطئونه لأنها لا توجد إلا فيه (فيه تميل الشمس والقمر). وهذا يفسر لنا الغريبة الثانية.

٢ - «وكان ذلك ليلاً»:

في رواية الطبري عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن عمر رضي الله عنه بعد أن دخل المسجد وتحقق من صفته «قصد المحراب محراب داوود عليه السلام (مقدمة المسجد وقبلته) وذلك ليلاً فصلى»[٣].

(١) دلائل النبوة جـ٢ ص ٣٥٦.

(٢) الأنس الجليل جـ٢ ص ٣١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ٦

وهذه غريبة لم نر أحدًا وقف عندها فنفاها أو فسرها؛ فالليل هو أغرب وقت يمكن أن يختاره أى أحد للدخول إلى مكان لم يره من قبل للتحقق من آيات وعلامات يعرفها فيه وصفًا، ولاسيما وهذا المكان سطح هضبة شاسع المساحة ملئ بالقمامة وليست فيه ثَم وسيلة إنارة إلا ما قد نفترض أنهم حملوه معهم.

فلم اختار عمر هذا الوقت الغريب (ليلاً) ليكون أول دخوله إلى ساحة الحرم القدسى وهو قد مكث فى القدس عشرة أيام[1] وكان يمكنه فيها أن يذهب إلى المسجد فى وضح النهار ليتحقق مما يعلمه من صفته ووصفه؟

لا تفسير إلا أمران يتمم كل منها الآخر.

دخل عمر المسجد الأقصى لأول مرة ليلاً لأن الليل هو وقت الإسراء بالنبى ودخوله ﷺ المسجد. فكأنه رضي الله عنه أراد دخول مسجد الإسراء برسول الله ﷺ فى وقت الإسراء ومن الباب الذى دخل منه ﷺ فى رحلة الإسراء.

هذه واحدة، والثانية أن عمر رضي الله عنه اختار الذهاب إلى المسجد ليلاً ليتحقق من هذا الباب الذى دخل منه ﷺ فى ليلة الإسراء برؤية العلامة التى علمه ﷺ بها، فيدخل هو رضي الله عنه من حيث دخل النبى ﷺ.

علامة هذا الباب فى لفظ رواية الحافظ الطبرانى فى المعجم

(١) الواقدى. فتوح الشام جـ١ ص ١٨٦.

الكبير[1] والإمام البيهقى فى دلائل النبوة[2] أنه «باب فيه تميل الشمس والقمر»

«والميل العدول إلى الشىء والإقبال عليه . . . ومالت الشمس ميولاً ضيفتْ للغروب»[3] . ففى الباب الذى دخل منه ﷺ فى ليلة الإسراء <- ...

جزء العلامة الأول أنه «فيه تميل الشمس»، أى تعدل إلى الشمس وتقبل عليه عند الغروب فتعبر من خلاله إلى بصر الواقف خارج السور .

وجزءها الثانى أنه باب يميل فيه القمر، أى يعدل إليه ويقبل عليه فيمكن للواقف خارج السور أن يرى القمر من خلال الباب .

إذًا علامة الباب الذى دخل منه ﷺ ليلة الإسراء أنه باب تعبر فيه الشمس أو «تدخل» فيه عند الغروب فيراها من خلاله الواقف خارج السور، وأنه باب «يدخل» فيه بصر الواقف خارجه فيصافح القمر فى صفحة سماء الحرم . أى هو باب تدخل فيه الشمس والقمر .

---

(١) المعجم الكبير حديث رقم ٧١٤٢ جـ٧ ص ٢٨٣ .

(٢) دلائل النبوة جـ٢ # ٣٥٦ .

(٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشيرازى . القاموس المحيط جـ٤ ص ٥٣ فصل الميم . باب اللام . نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٠٢هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

وهو ما يؤكده لفظ رواية الإمام البزار[١] وفيها أنه «باب فيه تمثل الشمس والقمر».

«ومثل بين يديه انتصب قائما وبابه دخل»[٢].

هذه العلامة المزدوجة فى الباب لا يمكن التحقق منها إلا عند الغروب بدخول الشمس فى الباب، ثم فى الليل برؤية القمر من خلاله.

وعليه فإذا كان الطبرى فى روايته عن رجاء بن حيوة عمن شهد قد ذكر أن عمر دخل الحرم وصلى و «كان ذلك ليلاً»، فصفة وعلامة الباب الذى أراد عمر الدخول منه ترجح أنه رضي الله عنه قد ذهب عند المسجد قبل الغروب ثم ظل عند أبواب الحرم الغربية حتى دخول الليل للتحقق من الباب الذى دخل منه النبى صلى الله عليه وسلم بعلامته المزدوجة التى لا يرى شطرها الأول إلا عند الغروب ولا يرى شطرها الثانى إلا بعد دخول الليل.

ولم كل هذا العنت والعناء من أمير المؤمنين الفاتح وقد كان بإمكانه الدخول من أى باب من أبواب الجهة الغربية من السور والبالغ عددها سبعة أبواب.

---

(١) كشف الأستار. كتاب الإيمان. باب الإسراء جـ١ ص ٣٥ حديث رقم ٥٣

(٢) الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى. مختار الصحاح. مادة «م ث ل» ص ٦١٤ عنى بترتيبه محمود خاطر بك. طبعة وزارة المعارف العمومية. المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

تفسير ذلك أن عمر حين دخل المسجد الأقصى لم يكن عمر الفاتح ولا عمر أمير المؤمنين، وإنما كان عمر آخر غفلت الروايات عن نفسه التى دخل بها وحفظتها لنا هذه الغرائب، وما فى نفسه آنذاك هو تفسيرها

٣ - المحراب:

الصخرة هى أخص مواضع الحرم وهى أيضًا أكثرها قداسة(١)، والمعراج إلى السموات العلى وسدرة المنتهى بدأ منها وانتهى إليها. وقد نقل القاضى مجير الدين الحنبلى عن كتاب مثير الغرام لزيارة القدس والشام أنه «لم يختلف اثنان أنه عرج به ﷺ من عند القبة التى يقال لها قبة المعراج». وقبة المعراج تقع يمين الصخرة مباشرة.

والصخرة غير أنها أقدس مواضع الحرم هى أيضا أكثرها غرابة وإثارة للعقل وجذبًا للأنظار، وعمر ﷺ كان يعرف أوصاف الصخرة. ففى رواية هشام بن عمار عن الهيثم بن عمر عن جده أن عمر سأل كعبا: يا أبا إسحق أتعرف موضع الصخرة؟

فهو ﷺ كان يعلم بوجودها ويعرف أوصافها وإن لم يرها لطمرها تحت القمامة. هذه «الصخرة الشريفة تقع وسط المسجد على الصحن الكبير المرتفع عن أرض المسجد، وعلو الصحن عن أرض

---

(١) فى فضائل الصخرة. إتحاف الأخصا جـ١ ص ١٢٧ - ١٣٧، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٣٥ - ١٣٨، فضائل البيت المقدس للواسطى ص ٦٧ - ٧٦.

المسجد من جهة القبلة هو سبعة أذرع بذراع العمل*»[1]. ويبلغ طول الصخرة ١٧,٧٥ مترًا وعرضها ١٣,٥ متر ويبلغ ارتفاعها عن الصحن من ١,٢٥ مترًا إلى مترين، وتقع الصخرة على فوهة مغارة أو غرفة أسفلها وينزل إلى المغارة بإحدى عشرة درجة من جهة القبلة[2] وتسع المغارة تسعًا وستين نفسًا[3].

والسؤال: كيف يترك عمر أمير المؤمنين أقدس مواضع الحرم مقذرة مطمورة بالقمامة ولا يكون أول همه أن ينظفها ويطهرها؟ بل كيف ينصرف ﷺ عن هذه الصخرة العجيبة التى هى «صخرة شعثاء وسط المسجد قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه» ولا تثير ذهنه غرابتها فيكون أول ما يفعله تجلية هذه العجيبة التى يعلم وصفها لتراها عيناه؟!

كيف يتركها ولا يوليها عنايته ولا انصرف إليها ذهنه إلا بعد أن ذهب إلى صدر المسجد محراب داوود فصلى أولا؟!.

التفسير القريب الظاهر هو أنه ﷺ فعل كما يفعل أى مسلم عند دخول مسجد فيبدأ بالصلاة فيه لتحيته.

---

* ذراع العمل يبلغ حوالى ٧٥سم.

(١) الأنس الجليل جـ٢ ص ١٦.

(٢) خطط الشام جـ٥ ص ٢٥٤.

(٣) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشارى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٦٩. طبع بمطبعة بريل فى مدينة ليدن المحروسة سنة ١٩٠٦م.

وهو تفسير على قربه قاصر، إذ تطهير أقدس بقاع الحرم هو أولى من تحيته بالصلاة.

ثَم تفسير آخر لما فعله عمر يتوشح مع تفسير اختيار عمر الباب الذى دخل منه المسجد والوقت الذى اختاره لدخوله يكشف غموض المسألة كلها فتنجلى كشمس من بين غيم.

فى رواية الإمام مسلم لحديث الإسراء والمعراج بسنده عن أنس ابن مالك أن النبى ﷺ قال: «فركبت (البراق) حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم عرج بنا إلى السماء»[1]. وفى رواية الحافظ الطبرانى[2] والإمام البزار[3] والإمام البيهقى[4] لحديث الإسراء عن شداد بن أوس أن النبى ﷺ قال: «ودخلنا المسجد من باب فيه تميل (تمثل) الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله».

وفى الروايتين ما يعنى أن النبى ﷺ صلى حين دخل المسجد مباشرة حيث شاء الله، وذلك قبل أن يجتمع مع الأنبياء فيصلى بهم إمامًا حسب رواية الإمام مسلم لحديث الإسراء بسنده عن أبى هريرة

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال. حديث رقم ٢٧٨ جـ١ ص ١٥٧.

(٢) المعجم الكبير. حديث رقم ٧١٤٢ ص ٢٨٣.

(٣) كشف الأستار. حديث رقم ٥٣ جـ١ ص ٣٥.

(٤) دلائل النبوة. جـ٢ ص ٣٥٦.

«فحانت الصلاة فأممتهم (الأنبياء)»[١]. وفى رواية الإمام النسائى «ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء فقدمنى جبريل حتى أممتهم»[٢].

وما يعضد أن صلاة النبى ﷺ عند دخوله المسجد هى غير صلاته بالأنبياء إمامًا أن الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) جمع بين روايات المعراج المختلفة ووازن بينها ثم رجح أن «الأنبياء هبطوا معه تكريمًا وتعظيمًا عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقوله له جبريل عندما يتقدم ذاك للسلام عليه: هذا فلان فسلم عليه فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده (المعراج) لما احتاج إلى التعرف بهم مرة ثانية»[٣] ا.هـ.

أما موضع هذا المكان الذى شاء الله عز وجل أن يصلى فيه نبيه ﷺ منفردًا أول ما دخل المسجد الأقصى فتعيينه فى ما رواه الإمام ابن مردويه (ت: ٤١٠هـ)[٤] فى تفسيره والحافظ ضياء الدين المقدسى فى فضائل بيت المقدس[٥] كل بسنده عن عمر بن الخطاب (هو نفسه)

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الإسراء وفرض الصلاة. حديث رقم ٢٥٩ جـ١ ص ١٤٥.

(٢) الإمام النسائى. سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى. كتاب الصلاة باب فرض الصلاة جـ١ ص ٢٢٢. دار الحديث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) البداية والنهاية جـ٣ ص ١٥٩.

(٤) كنز العمال الحديث رقم ٣٥٤٤٧ جـ١٢ ص ٤١١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ٤ ص ١٤٨.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صليت ليلة أسرى بى فى مقدمة المسجد ثم دخلت إلى الصخرة».

فأول ما فعله رسول الله ﷺ فى ليلة الإسراء به عندما دخل من الباب الذى سمى باسمه ﷺ أنه صلى فى قبلته فى محراب داوود عليه السلام. وهو ما يفسر لماذا كانت الصلاة فى قبلة الحرم ومحراب داوود هو أول ما خطر على ذهن ونفس عمر، بل لم يخطر على ذهنه غيره عند دخوله المسجد وتحققه من صفته ضاربًا عُرض الحائط بالصخرة المقدسة المثيرة العجيبة والقمامة التى عليها وفى الصحن وغير عابئ بسائر أنحاء الحرم.

فعمر رضي الله عنه إنما كان فى الحقيقة يسير فى آثار رسول الله ﷺ داخل المسجد الأقصى فى رحلة الإسراء لا يعنيه غيرها.

٤ - ولم يلبث أن طلع الفجر:

فى رواية الطبرى عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن عمر «قصد المحراب محراب داوود عليه السلام وذلك ليلاً فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم (ص) وسجد فيها، ثم قام وقرأ بهم فى الثانية صدر بنى إسرائيل ثم ركع ثم انصرف»[١].

وفى رواية أبى مريم مولى سلامة وهو ممن شهد الفتح أن عمر «مضى نحو محراب داوود ونحن معه فدخله ثم قرأ سجدة داوود فسجد وسجدنا معه»[٢].

---

(١)، (٢) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ ص ٦٠٤

وما الغـريب ■ ان يصلى إمـام المسلمـين وأميرهم بـهم صلاة مفروضة حـان وقتها؟ لا عريب عير أن صلاة الفـجر هى خاتمة رحلة الإسـراء برسـول الله ﷺ فـى ليلة الإسـراء به داخل المـسـجـد

فمى رواية الإمام مـسلم لحديث الإسراء بسنده عن ابى هريرة أن النبى ﷺ قال: «فحانت الصلاة فأممتهم»[1].

وقد استدل الحافظ ابن كثـير من لفظ رواية الإمام مسلم «فحانت الصلاة فـأممتـهم» أن الصلاة التى صلاها ﷺ بالأنبـياء إمامًـا إنما كانت صـلاة مكتوبـة لقوله «حـانت»، ثم رجح ابن كثـير أنهـا صلاة الفجر لأنه «لم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر»[2].

فصـلاة عمـر رضي الله عنه الفجـر بالناس إمامًـا فى محـراب داوود من المسجد الأقـصى إنما كانت حلقة فى سلسلة تتبـعه رضي الله عنه لآثار وأفعال رسول الله ﷺ ليلة الإسراء داخل المسـجد الأقصى، فهو رضي الله عنه قد صلى بالناس الفجـر إمامًا فى محراب داوود مضـاهيا صلاة رسول الله ﷺ الفجر بالأنبياء إمامًا فى المحراب نفسه.

يشهد لذلك ويجلى نفس عمـر فى هذه الليلة b اختاره رضي الله عنه من القرآن للصلاة به، فقد صلى فى الركعة الأولى بسورة ■ حتى بلغ

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمـان. باب الإسراء وفرض الصـلاة حديث رقم ٢٥٩ جـ١ ص ١٤٥.

(٢) البداية والنهاية جـ٣ ص ١٥٩.

السجدة فسجد. وسجدة سورة (ص) هى سجدة داوود فى قوله تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص: ٢٤) وصلى فى الثانية بصدر بنى إسرائيل.

وسورة بنى إسرائيل هى سورة الإسراء.

فهو ﷺ صلى ركعتين، الأولى بصاد ليسجد فى محراب داوود، سجدة داوود. والثانية بالإسراء ليتلو آية الإسراء التى أنزلت فى ليلة الإسراء حيث صلى ﷺ وأنزلت عليه.

عمر الذى دخل المسجد الأقصى:

يضع الطبرى والواقدى وجل المؤرخين الإسلاميين ومعهم مؤرخو القدس حادثة دخول عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس فى سياقها من روايات الفتح الإسلامى، فلا يرد على ذهن القارئ وهو يقرأ إلا عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وأمير المؤمنين الفاتح الذى جاء ليعقد اتفاقًا مع أهل القدس ويفتحها صلحًا، وما يرد على ذهن أحد أن هناك عمر آخر هو الذى دخل المسجد الأقصى غير عمر أمير المؤمنين الفاتح.

فالذى دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ثم طهره واختط موضع المصلى والمسجد منه عمران لا عمر واحد!

عمر الأول هو عمر الصاحب، صاحب رسول الله ﷺ ورفيقه الذى ما فتئت عيناه تغرورقان بالدموع كلما ذكر حبيبه ﷺ وهو يناديه عند منصرفه من مجلسه ويقول له: لا تنسنا من دعائك يا أخى!

وهو عمر الذى قال عنه خادمه أسلم أنه كلما ذكر رسول الله بكى وقال: كان رسول الله أرحم الناس بالناس وكان لليتيم كالوالد، وكان للمرأة كالزوج الكريم، وكان أشجع الناس قلبًا وأوضحهم وجهًا وأطيبهم ريحًا وأكرمهم حسبًا، فلم يكن له مثل فى الأولين والآخرين[1].

عمر الذى دخل المسجد الأقصى هو عمر الذى يذوب شجنًا لفراق خليله ويتحرق شوقًا للقائه ويعيش حياته فى ظلاله ويعبر دنياه بذكراه، تفتح جيوشه العالم وتهز القياصرة وتسقط الأكاسرة ويحثو بعض أفراد رعيته المال حثوا وهو ﷺ لا يرتدى من الثياب إلا الخشن المرقع ويأكل من الطعام ما يأباه الفتيان والإماء من رعيته، وجلاً أن يحيد عن طريق صاحبيه ولو قيد شعرة، خائفًا ألا يذهب إلى حيث ذهبا.

عمر الذى دخل المسجد الأقصى هو عمر الذى ذهب إليه ونفسه تهتز وجلده يقشعر وقلبه يخفق أن سيكون أول فرد من أمة رسول الله ﷺ يدخل المسجد الأقصى بعده، ترى نفسه آثار نبيه غضة فيه لم تطمسها آثار أحد دخله بعده، وتعيش فى ما فعله ﷺ داخله لم يذهبه أحداث وقعت ولم يغيبه عن الذهن وقائع حدثت.

فعمر ﷺ إنما دخل المسجد الأقصى دخول الحاج ليست آثار رسول الله ﷺ داخله وما فعله فيه إلا مناسك يتبعها وشعائر تسير فيها نفسه قبل جسمه وأقدامه.

(١) كنز العمال حديث رقم ٣٥٤٦٤ جـ ٧ ص ٤١٩.

فترك ﷺ وضح النهار وذهب إلى المسجد عند الغروب وظل عنده إلى أن دخل الليل ليتحقق من علامة الباب الذى دخل منه صاحبه ﷺ فيدخل منه ولتبدأ ليلة إسراء نفسه به ﷺ، وتحقق من صفة المسجد وعلاماته فسارت نفسه برجليه داخل المسجد فى المسار الذى سار فيه رسول الله ﷺ من الباب إلى القبلة فصلى ركعتين كما صلى ﷺ وحيث صلى.

ولأن رسول الله ﷺ ذهب بعد هاتين الركعتين للقاء ربه فى الليل ثم عاد فى الفجر ظل عمر طوال رحلة المعراج داخل المسجد الأقصى وكأنه فى معراج نفسى يوازى معراج رسول الله ﷺ إلى السموات العلى وينتظر قدومه ﷺ منه ليتم هو ﷺ رحلة نفسه داخل رحلة رسول الله ﷺ.

ولم يلبث أن طلع الفجر وآب رسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى من المعراج فذهب عمر إلى محراب داوود كما ذهب رسول الله ﷺ وصلى بالناس إمامًا كما صلى ﷺ بالأنبياء إمامًا، وقرأ فى ركعة بصاد ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ليسجد فى محراب داوود بسجدة داوود، وقرأ فى الأخرى بالإسراء لتتنزل آية الإسراء من لسانه على أذنه وقلبه فى ليلة إسراء نفسه به ﷺ كما نزلت على رسول الله فى المحراب نفسه فى ليلة إسراء ربه به ﷺ.

وانتهت صلاة الفجر فتمت رحلة الإسراء وعاد رسول الله ﷺ إلى البيت الحرام فعادت نفس عمر ﷺ من إسرائها.

وهاهنا بعد أن غادر رسول الله ﷺ المسجد الأقصى عائدًا إلى مكة غادرت نفس عمر الصاحب الموله المدله فى حب نبيه السائر فى أثره المقتفى لآثاره العائش فى ذكرى خطاه المسجد الأقصى لتظهر نفس عمر الآخر، عمر أمير المؤمنين وإمام المسلمين الذى يطلب كعبًا ليعرفه مكان الصخرة، فيبدأ وهو رأس أمة الإسلام ورمزها فى تطهير الصخرة رأس الحرم ورمزه ثم يقف عندها ويعمل عقله ويجتهد لرعيته كى يختط لهم مكان مصلاهم ومسجدهم من ساحة الحرم الشاسعة.

المسجد الاقصى القرآنى

بعد تحقيق هيئة وصفة دخول عمر رضي الله عنه الحرم القدسى الشريف وتجلية ما انطوت عليه نفسه وتفسير ما طبع سلوكه داخل الحرم نعود إلى سؤالنا.

فى رواية الوليد بن مسلم عن شيخ من ولد شداد بن أوس عن أبيه عن جده أن البطريق قال لعمر رضي الله عنه أمام الحرم: لا تقدر أن تدخل إلا حبوا فقال عمر: ولو حبواً. فحبا بين يدى عمر ... وتأمل ملياً ونظر يميناً ويساراً ثم قال: الله اكبر! هذا والذى نفسى بيده مسجد داوود عليه السلام الذى أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسرى به إليه»[1].

حين دخل عمر من الباب المنخفض إلى سطح الهضبة وتأمل ونظر ثم هتف: الله اكبر هذا مسجد داوود، ما الذى كان يعنيه بمسجد داوود الذى وصفه له النبى ﷺ؟ وماذا كان فى ذهنه عن هذا المسجد؟

هل كان يقصد الهضبة كلها أى الحرم القدسى؟ أم أن ما كان فى ذهنه هو الصخرة وصحنها فقط؟ أم مقدمة الحرم حيث ذهب وصلى ثم اختار بعد ذلك المصلى؟

بإيجاز أوضح: أوصاف المسجد الأقصى القرآنى الذى فى ذهن عمر كما سمعها من النبى ﷺ هل تنطبق على الحرم كله أم على جزء منه؟

(١) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

بداهة لا يمكن أن تكون الصخرة وصحنها هى المسجد الأقصى القرآنى أو بعبارة أدق: لا يمكن أن تكون هى وحدها المسجد الأقصى، إذ لم تتفق الروايات المختلفة فى شىء قدر اتفاقها على أن عمر رضي الله عنه أبى أن يأخذ بإشارة كعب الأحبار بالصلاة عند الصخرة وتركها إلى جزء من الساحة الخالية فى جنوبها. ولو كانت الصخرة وحدها والصحن المحيط بها والمرتفع عن أرض الحرم هى وحدها المسجد الأقصى ما وسع عمر الذى يعلم صفة المسجد ووصفه إلا أن يصلى عندها.

وتبقى المعضلة! وهى أن المسجد الأقصى المذكور نصًا فى القرآن والذى وصف النبى صلى الله عليه وسلم آياته وعلاماته على ملأ من الناس حين كُذب صلى الله عليه وسلم فى رحلة الإسراء به إما أن يكون الحرم كله أو مقدمة الحرم فقط حيث صلى عمر واتخذ المصلى. فأى منهما؟

لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال إلا بأمر من اثنين: إما أن نجد قولاً أو فعلاً صدر عن عمر رضي الله عنه الذى يعرف صفة المسجد الأقصى ووصفه يحدد لنا ماذا كان فى ذهنه عن المسجد وهو يهتف: الله أكبر هذا مسجد داوود، أو أن نجد فى السنة المطهرة وصفًا نبويًا صريحًا للمسجد وأوصافا واضحة له تمنع اختلاط وصفه بوصف غيره.

فى رواية الإمام البخارى[1] والإمام مسلم[2] والإمام

(١) صحيح البخارى. كتاب التفسير. باب قوله ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾. حديث رقم ٤٧١٠ جـ١ ص ١٤٥٧.

(٢) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله. حديث رقم ٢٧٦ جـ١ ص ١٥٨.

الترمذى[1] والإمام أحمد[2] بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر، فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

ما هى هذه الآيات العلامات التى يتحدد بها المقصود بالمسجد الأقصى؟

فى رواية القاضى أبى يعلى فى مسنده[3] والحافظ ابن سيد الناس فى عيون الأثر[4] والخطيب الواسطى فى فضائل البيت المقدس[5] والحافظ ضياء الدين المقدسى فى فضائل بيت المقدس[6] بأسانيد مختلفة من طريق أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ أن النبى ﷺ قال: «قال المطعم بن عدى: يا محمد فصف لنا بيت المقدس.

---

(١) الجامع الصحيح. كتاب التفسير. باب: «ومن سورة بنى إسرائيل». حديث رقم ٣١٣٣ جـ٥ ص ٣٠١.

(٢) المسند. حديث رقم ١٤٩٧٤ جـ١٢ ص ٥٩.

(٣) (أ) الحافظ السيوطى. الدر المنثور جـ٤ ص ١٤٩

(ب) الحافظ ابن حجر العسقلانى. المطالب العالية. حديث رقم ٤٢٨٧ جـ٤ ص ٢٠٣.

(جـ) ولم نعثر عليه فى مسند أبى يعلى الموصلى المطبوع (تحقيق حسين سليم. دار المأمون للتراث. دمشق ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

(٤) عيون الأثر جـ١ ص ٢٤٢.

(٥) الخطيب أبو بكر الواسطى. فضائل البيت المقدس ص ٩٦ والحديث فيه من طريق أبى صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) الحافظ ضياء الدين المقدسى. فضائل بيت المقدس ص ٨٢.

قال: دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً. فأتاه جبريل فصوره فى جناحه فجعل يقول: باب منه كذا فى موضع كذا، وباب منه كذا فى موضع كذا».

المسجد الأقصى القرآنى إذاً كما وصفه رسول الله ﷺ هو الهضبة المقدسة أو ما أصبح يطلق عليه فى العهد العثمانى الحرم القدسى الشريف والمقصود بالمسجد الأقصى هو الهضبة المقدسة أو الحرم كله لا جزء منه، إذ فى عصر المبعث النبوى والفتح العمرى لم تكن أبواب إلا فى الأسوار المحيطة بالهضبة كلها، ولا أبواب فى شيء غير هذه الأسوار لأنه لم يكن ثَم شيء آخر ليكون فيه أبواب أو لا يكون، فلا أبنية ولا قباب ولا جوامع، لا شيء إلا ساحة الهضبة الشاسعة والصخرة فى منتصفها والأسوار من حولها والأبواب فى مواضعها منها.

هل من علامة أخرى؟

نعم!

فقد روى الإمام البيهقى[١] فى دلائل النبوة والحافظ ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق[٢] بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «فقال رجل من المشركين: أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف ماؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل، فإن يكن محمد

(١) دلائل النبوة جـ٢ ص ٣٩٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق جـ٣ ص ٥١٦ - ٥١٧.

صادقًا فسأخبركم وإن يكن كاذبًا فسأخبركم. فجاءه ذلك المشرك فقال: يا محمد! أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرنى كيف هيئته؟ وكيف قربه من الجبل؟ قال: فرفع لرسول الله ﷺ ببيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته وقال: بناؤه كذا وكذا، وقربه من الجبل كذا وكذا.

فقال الآخر: صدقت».

والعلامة فى هذه الرواية هى قوله: «قربه من الجبل».

بداهة لا يمكن أن يكون المقصود من الجبل فى الرواية هضبة الحرم نفسها، إذ قوله «قربه» أى المسجد تدل على أنه غير الجبل لا هو نفسه فما هو هذا الجبل العلامة؟

تقع مدينة القدس نفسها على خمسة تلال تكون هضبة مرتفعة، غير أنه لا يمكن أن يكون الجبل المقصود أى منها لأن المدينة فوقها وهضبة الحرم إحداها.

وتحيط بالمدينة عدة جبال هى جبل المشارف (سكوبس)، وجبل رأس أبى عمار (هار جيورا)، وجبل الزيتون أو طور زيتا، وجبل بطن الهوا (هار ها مشحيت)، وجبل المنظار وجبل السناسيين وجبل النبى صموئيل[1].

ولا يمكن أن يكون الجبل المقصود فى هذه الرواية أى جبل غير جبل الزيتون وامتداده جبل بطن الهوا. فالجبال الباقية كلها تحيط

---

(١) القدس الخالدة ص ١٣ ـ ١٥، قاموس الكتاب المقدس ص ١٣١.

بمدينة القدس وتقع خارج أسوارها من الجهة الغربية البعيدة عن هضبة الحرم التى تقع فى الطرف الآخر من المدينة.

أما جبل الزيتون فإنه يقع خارج مدينة القدس مواجهًا الجهة الشرقية منها وهضبة الحرم تقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس، أو بتعبير المقدسى «على قرنة البلد الشرقى»[1]. وسور الحرم الشرقى هو نفسه جزء من سور المدينة الشرقى، فجبل الزيتون يقع أمام سور الحرم الشرقى ويطل عليه يفصله عنه وادى «ستنا مريم» وهو وادى قدرون العبرى، ويمكن للواقف فوق جبل الزيتون البالغ ارتفاعه عن سطح البحر ٨٢٦ مترًا[2] أن يكشف هضبة الحرم كلها والتى لا يزيد ارتفاعها عن ٧٣٥ مترًا فوق سطح البحر.

كما يمكن للواقف ميممًا وجهه شطر الشرق أن يرى قمة جبل الزيتون من فوق هضبة الحرم.

والنبى ﷺ حين كان ينعت المسجد كان المسجد مرفوعًا له بهيئته وتفاصيله كما هو.

ولا يمكن له ﷺ أن يجعل جبل الزيتون الواقع خارج السور الشرقى للمسجد من علاماته إلا إذا كان المسجد قد رفع له بحيث يكون ﷺ واقفًا أمام سوره الغربى، ثم داخلاً الهضبة ميممًا وجهه شطر الشرق. أى على الصفة نفسها التى دخل بها ﷺ المسجد

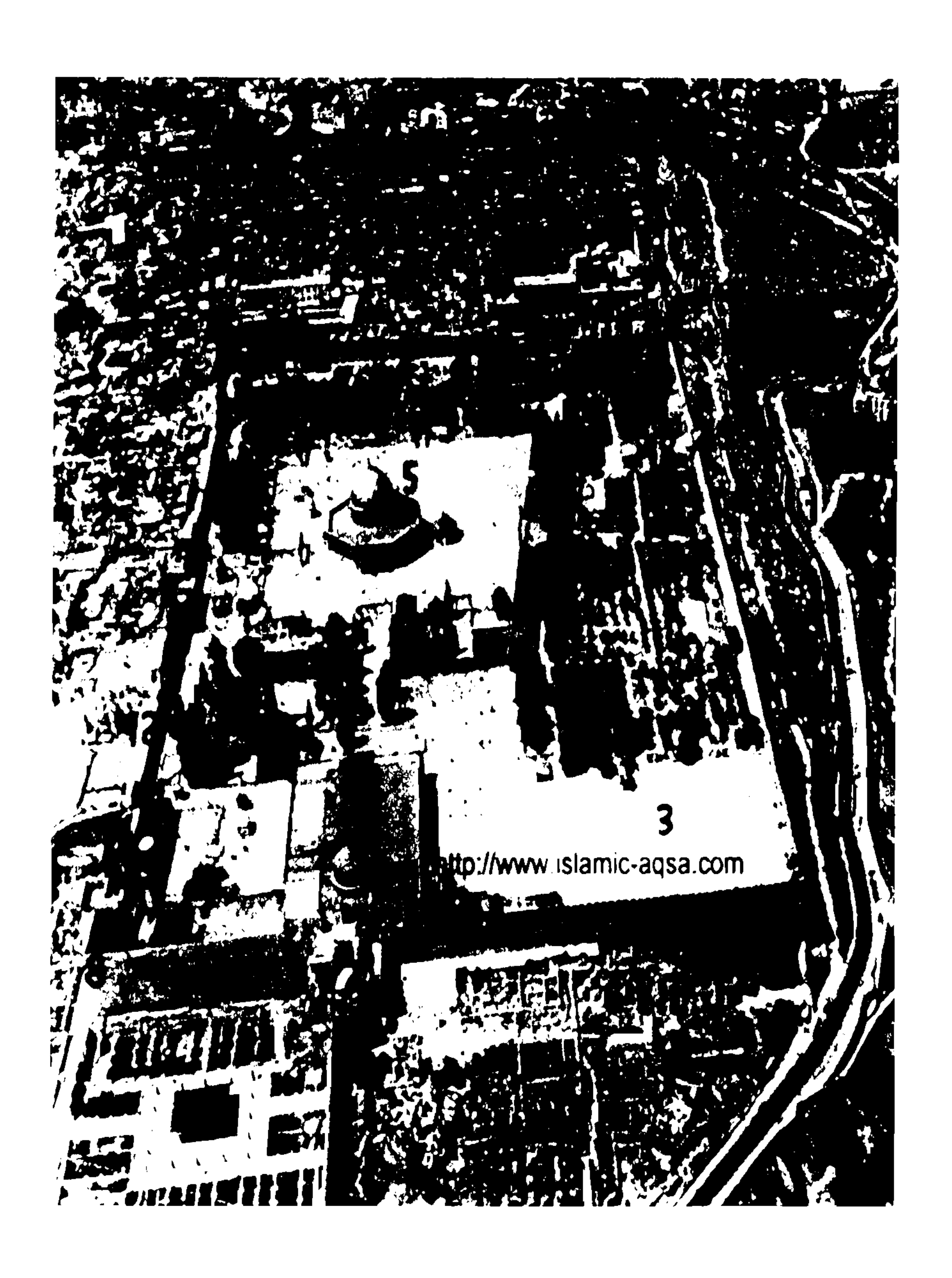
---

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: ص ١٦٨.

(٢) القدس الخالدة: ص ١٣ ـ ١٥، قاموس الكتاب المقدس ص ١٣١.

فعلا فى الليل، ليلة الإسراء به، وأيضًا على الصفة نفسها التى دخل بها عمر المسجد فى ليلة إسراء نفسه ﷺ به.

ويكون ما حدث عند الفتح العمرى هو أن عمر ذهب إلى الحرم من جهة الغرب التى ذهب منها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء به والتى رفع له ﷺ المسجد بحيث يكون واقفًا أمامها، ثم دخل ﷺ من الباب الذى دخل منه النبى ﷺ، وهو أول باب فى السور الغربى جنوب المسجد، ثم صعد ﷺ إلى سطح الهضبة فتأمل ونظر يمينًا ويسارًا ليرى السور ويتحقق «باب منه كذا فى موضع كذا، وباب منه كذا فى موضع كذا»، ثم رأى ﷺ جبل الزيتون فى ظهر السور الشرقى للحرم الذى يقف ﷺ مواجهًا له، وتحقق «قربه من المسجد وقرب الجبل منه» فتمت له آيات وعلامات المسجد يعرفه بها من وصف النبى ﷺ له فهتف: الله أكبر هذا مسجد داوود عليه السلام.



صورة الحرم القدسى الشريف (المسجد الاقصى القرآنى) من الجو

١ - المسجد الأقصى المروانى.

٢ الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى القرآنى، وهى الحد الجنوبى الشرقى له.

٣ - المصلى المروانى الجديد.

٤ - درج المصلى المروانى.

٥ - قبة الصخرة.

٦ - قصور أموية.

٧ - الزاوية الخنثنية وهى أقصى الجنوب من الأقصى القرآنى.

٨ - الزاوية الجنوبية الغربية وهى الحد الجنوبى الغربى للأقصى القرآنى.

٩ - كلية الدعوة وأصول الدين.

١٠ - المتحف الإسلامى.

١١- باب المغاربة.

١٢- حائط البراق.

١٣- باب السلسلة.

١٤ - المدرسة العمرية.

١٥- الحد الشمالى الغربى للأقصى القرآنى.

١٦- الحد الشمالى الشرقى للأقصى القرآنى.

١٧- باب الأسباط.

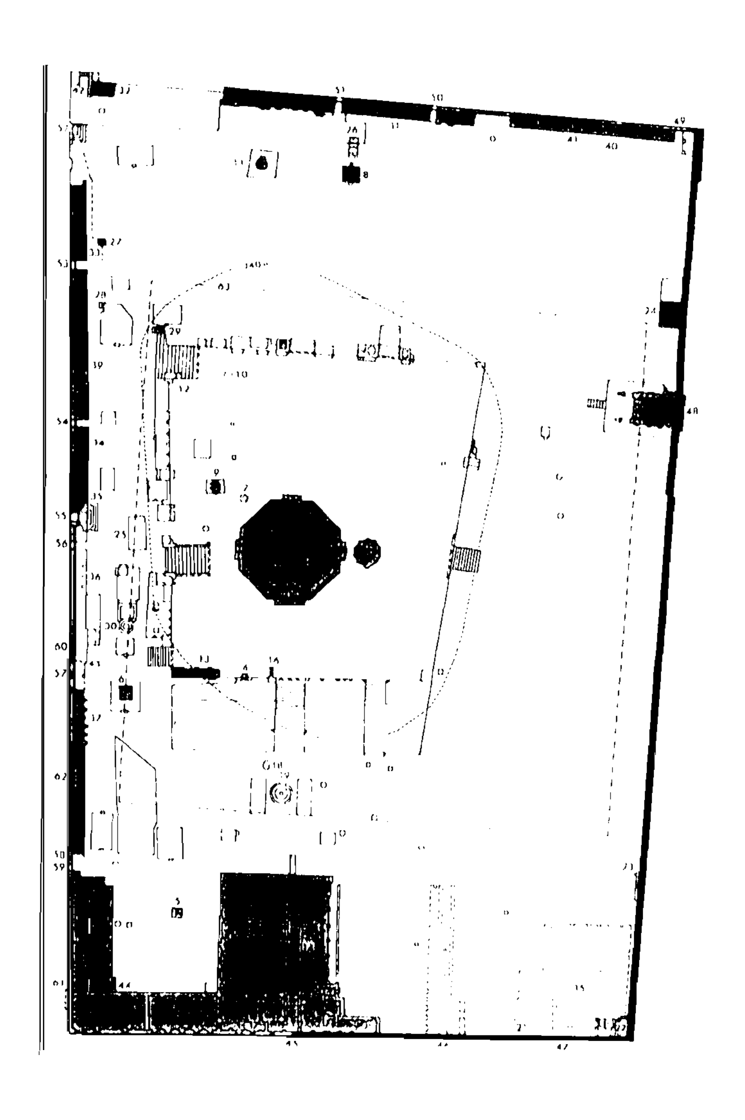
١٨- باب الرحمة.

١٩ - مقبرة الرحمة.

٢٠- مقابر إسلامية.

٢١ - الحى الإسلامى الغربى.

٢٢- [illegible]ى.



مخطط تفصيلى للحرم القدسى الشريف (المسجد الاقصى القرآنى)
ما'خوذ من Encyclopadia Judiaca, vol. 15, p. 991- 994

١ - الصخرة.
٢ - قبة الصخرة.
٣ - قبة السلسلة.
٤ - قبة يوسف.
٥ - قبة يوسف أغا.
٦ - قبة موسى.
٧ - قبة النبى.
٨ - قبة سليمان باشا.
٩ - قبة المعراج
١٠ - قبة الأرواح.
١١ - قبة سليمان.
١٢ - قبة الخضر.
١٣ - قبة النحوية.
١٤ - المسجد الأقصى (المروانى).
١٥ - اسطبلات سليمان.
١٦ - المنبر الصيفى.
١٧ - منبر نور الدين.
١٨ - شجرة الزيتون النبوية.
١٩ - الكأس (حوض للوضوء)
٢٠ - محراب زكريا.
٢١ - محراب داوود.
٢٢ - مهد المسيح.
٢٣ - مصطبة النبى.
٢٤ - مصطبة سليمان.
٢٥ - سبيل قايتباى.
٢٦ - سبيل السلطان سليمان
٢٧ - سبيل علاء الدين البصير
٢٨ - سبيل الشيخ بدير.
٢٩ - سبيل شعلان
٣٠ - **سبيل قاسم باشا.**
٣١ - المدرسة الداودارية.
٣٢ - المدرسة الجاولية
٣٣ - المدرسة المنجيقية
٣٤ - المدرسة الأرغونية.
٣٥ - المدرسة الخاتونية
٣٦ - المدرسة العثمانية
٣٧ - المدرسة التنكزية
٣٨ - المدرسة الفخرية
٣٩ - الرواق الغربى.
٤٠ - الرواق الشمالى.
٤١ - منارة صهيون (مئذنة).
٤٢ - مناره الغوانمة.
٤٣ - مناره باب السبيل.
٤٤ - منارة الفخرية.
٤٥ - البوابة المزدوجة (مغلقة).
٤٦ - البوابة المثلثة (مغلقة).
٤٧ - البوابة المفردة.
٤٨ - الباب الذهبى (مغلق).
٤٩ - باب الأسباط.
٥٠ - باب حطة.
٥١ - باب العتم.
٥٢ - باب الغوانمة.
٥٣ - باب الحبس.
٥٤ - باب الحديد.
٥٥ - باب القطانين.
٥٦ - باب المطهرة.
٥٧ - باب السلسلة وباب السلام.
٥٨ - بوابة باركلى (مغلقة).
٥٩ - باب المغاربة.
٦٠ - قوس ويلسون.
٦١ - قوس روبنسون.
٦٢ - حائط البراق.
٦٣ - حدود هيكل هيرود حسب التصور الإسرائيلى.

لماذا رفض عمر الصلاة عند الصخرة؟

فى رواية الطبرى[1] عن رجاء بن حيوة عمن شهد أن عمر قال لكعب: أين يا ترى نجعل المصلى؟ فقال: إلى الصخرة. فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب . . . بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها. اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالكعبة».

وفى رواية الإمام أحمد[2] عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: «أين ترى أن أصلى؟ فقال: إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية. لا ولكن أصلى حيث ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى.

وفى رواية الحافظ ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق[3] وفى كنز العمال للمتقى الهندى[4] وفى رواية الوليد بن مسلم[5] عن هشام بن عمار عن الهيثم بن عمران: سمعت جدى يقول: فقال (عمر): يا أبا إسحق أتعرف موضع الصخرة؟ فحفروا فظهرت. فقال عمر لكعب:

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ٣ صـ١٠٦.

(٢) المسند. الحديث رقم ٢٦١ حـ١ ص ٢٧٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق جـ٢ ص ١٧١

(٤) كنز العمال. حديث رقم ١٤٢١٥ جـ٥ ص ٧٠٤.

(٥) اتحاف الأخصا حـ١ ص ٢٣٧، الأنس الجليل حـ١ ص ٢٥٦٥

أين ترى أن نجعل المسجد؟ قال: اجعله خلف الصخرة فتجتمع قبلة موسى وقبلة محمد ﷺ فقال: ضاهيت اليهودية والله يا أبا إسحق. خير المساجد مقدمها».

والسؤال: إذا كان المسجد الأقصى القرآنى هو هضبة الحرم كلها، فلماذا ترك عمر الصلاة عند الصخرة واختار مكان المصلى فى مقدمة الحرم.

والإجابة على هذا السؤال تستدعى سؤالاً أول: لماذا كان على عمر رضي الله عنه أن يختار مكانًا يتخذه مصلى ويختطه مسجدًا، وساحة الهضبة كلها مسجد؟

فى رواية الواقدى[1] لفتح القدس أن عمر أرسل كتابًا إلى أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بالسير لفتح بيت المقدس، فوجه أبو عبيدة سبعة جيوش، على رأس كل جيش قائد، وعدة كل جيش خمسة آلاف مقاتل «فكان جملة ما سرحه أبو عبيدة إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفا». وفى رواية الوليد بن مسلم[2] عن شيخ من ولد شداد ابن أوس عن أبيه عن جده أن عمر دخل بيت المقدس وسار مع البطريق متقلدا سيفه فى أربعة آلاف من أصحابه.

فعدة الجيوش الإسلامية المحاصرة لبيت المقدس بلغ خمسة وثلاثين ألفًا، وعدد المسلمين الذين دخلوا بيت المقدس ثم المسجد

(١) فتوح الشام جـ١ من ص ١٧٦.

(٢) اتحاف الأخصا جـ١ ص ٢٣٦، الأنس الجليل جـ١ ص ٢٥٥.

الأقصى للصلاة فيه لم يزد على أربعة آلاف مسلم. وجل المسلمين الذين كانوا فى حصار المدينة لم يستقروا فيها بعد فتحها، بل واصلوا مسيرة الزحف الفاتح إلى مصر وشمال إفريقيا.

وقد زار حاج نصرانى هو أركيولف بيت المقدس عام ٦٧٠م أى بعد الفتح بما يربو قليلاً على ثلاثين سنة، وقد قدر أركيولف عدد المصلين فى المصلى الذى اختطه عمر فى مقدمة الحرم بنحو ثلاثة آلاف مصل[١].

فإذا علمنا أن الطاقة الاستيعابية للحرم القدسى الشريف فى أيامنا هذه تبلغ فى أيام الجمع نصف مليون مصل، وإذا أخذنا فى الاعتبار أن سعة الحرم فى أيامنا هذه هى أقل من سعته على عهد الفتح لما بناه الخلفاء والسلاطين والأمراء من أسبلة ومدارس وأبنية على مدار العهد الإسلامى للمدينة المقدسة داخل هضبة الحرم، إذا علمنا ذلك وأخذنا فى الاعتبار هذا تجلى لنا ثاقب نظر عمر رضي الله عنه فى اختيار مكان من الساحة الشاسعة التى تبلغ مساحتها ١٤٤ دونماً*[٢] ليكون مسجداً

---

(١) القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٣٩

(٢) محاهد على شراب الحرم القدسى الشريف. ـــ ضمن الندوة الدولية عن القدس والتاريخ والمستقبل ٢٩ ـ ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م ص ٤٠٤ مركز دراسات المستقبل ـ جامعة أسيوط.

* الدونم مقياس للمساحة يساوى ٩١٩ مترا مربعا وثلث المتر والمصطلح عليه فى لبنان أنه يساوى ألف متر. المنجد ص ٤٥٣ ط١ دار المشرق بيروت ١٩٦٧م.

يجتمع المسلمون عند صلاتهم•فيه، وإلا بدوا كأشجار متناثرة فى فلاة واسعة. وهو ما لم يكن يرضاه عمر ولا تحتمله نفسه وهو الذى لم يحتمل صلاة المسلمين فرادى فى مسجد الرسول ﷺ الذى لا تتعدى مساحته بعد التوسعة التى وسعها هو ﷺ فيه ١٤٠ ذراعًا فى ١٢٠ ذراعًا[١] فجمعهم فى صلاة التراويح.

فلم يكن يدور بخلد عمر ﷺ إلا أنه يختط مسجدًا أو مكانًا للصلاة يجمع فيه المسلمين داخل ساحة المسجد الأقصى الشاسعة لا أنه يختار مسجدًا ينفى به صفة المسجد عن باقى الحرم.

ولعل أصدق تصوير لما كان فى ذهن عمر ﷺ هو لفظ رواية الخطيب أبى بكر الواسطى فى فضائل البيت المقدس[٢] بسنده عن سليمان بن حبيب أن عمر قال لكعب: أين نضع مسجد المسلمين من هذا المسجد؟

فالمسجد الأقصى هو الحرم كله، وهو يريد مكانًا منه يكون مسجدًا يجتمع فيه الناس فلا يتناثروا فى هضبة الحرم الواسعة.

فلماذا اختار هذا المكان المصلى فى مقدمة المسجد الأقصى وترك الصخرة مع شرفها؟

تصرح بعض الروايات ويلمح بعضها إلى أن كعبًا اليهودى الأصل

---

(١) سيد عبد المجيد بكر. أشهر المسجد فى الإسلام جـ١ ص ٢٠٧ دار القبلة للثقافة الإسلامية.

(٢) الخطب الواسطى. فضائل البيت المقدس ص ٤٥

أشار على عمر بالصلاة خلف الصخرة لكى تكون قبلته، وتجمع الروايات على أن عمر ﷺ أبى متهمًا كعبًا بمضاهاة اليهودية.

فهل ما أراد كعب مضاهاة اليهودية به بصلاة عمر ﷺ إلى الصخرة وفطن له عمر هو اتخاذها قبلة أم شيء آخر؟

أولاً: لو صلى عمر ﷺ خلف الصخرة أكان عليه من لوم؟

الصخرة المقدسة تقع فى منتصف ساحة هضبة الحرم الواسعة، واتجاه القبلة فى الحرم هو اتجاه الجنوب، ولو أن عمر ﷺ وقف شمال الصخرة ميممًا وجهه شطر الجنوب لاستقبل الصخرة وما أخطأ القبلة/ البيت الحرام.

ولو فعل ما كان عليه من تثريب؟ فالصخرة مشرفة فى الإسلام وهى أقدس مواضع المسجد الأقصى بلا خلاف، وهو بالصلاة خلفها لم يترك قبلة الإسلام. وما قال أحد أن من شرط صحة الصلاة فضاء المكان بين المصلى وبين البيت الحرام وعدم وجود حوائل من أبنية أو جبال بينه وبين القبلة، وإلا ما صلى أحد فى أى صقع من الأصقاع التى وصل إليها الإسلام.

فإذا لم تكن الصخرة لو صلى عمر ﷺ خلفها تعوقه عن استقبال القبلة فلم تركها؟

قد كان يمكن إيجاز الإجابة فى أن عمر ﷺ ذهب إلى جنوب المسجد لأنه صدره، والصلاة فى مساجد الإسلام إنما تبدأ من صدر المسجد كما علم النبى ﷺ أصحابه وورثت أمة الإسلام ذلك

عنهم، قد كان يمكن ذلك لولا عبارة عمر ﷺ الغامضة والتى تحتاج إلى تفسير: «ضاهيت اليهودية». ففيم ضاهى كعب اليهودية بإشارته على عمر ﷺ بالصلاة خلف الصخرة؟

ثانيًا: هل لليهود قبلة مفروضة؟

القبلة بالكسر التى يصلى نحوها، والجهة، والكعبة وكل ما يستقبل[1].

فهناك نوعان من القبلة: القبلة اللغوية، وهى «الجهة التى يستقبلها الإنسان» كما قال القفال[2] بمعنى أن يولى الإنسان أو المصلى وجهه شطر اتجاه معين فى صلاة أو فى غير صلاة، كأن يصلى مثلاً إلى الشرق أو الغرب أو إلى الشمال أو الجنوب.

أما القبلة الثانية فهى القبلة الاصطلاحية فى الإسلام بمعنى أن المرء أو المصلى فى أى مكان من الأرض يجب أن يتجه فى صلاته إلى نقطة أو بقعة محددة لا تصح صلاته إلا بتوجهه نحوها، وهو أول ما يرد على أذهان المسلمين من القبلة بحكم الاصطلاح والعرف الإسلامى، إذ «القبلة فى العرف العام اسم للمكان المقابل المتوجه إليه بالصلاة»[3].

---

(١) القاموس المحيط. فصل القاف. باب اللام جـ٤ ص ٣٣.

(٢) الإمام محمد الرازى فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. مجلد ٢ جـ٣ ص ١٠٢ دار الفكر ط٣ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) العلامة أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى. روح

والفارق بين القبلتين واسع البون. فلو أن اليهود يصلون إلى الصخرة متخذينها قبلة لكان على من فى شرقها أن يتجه إلى الغرب، وعلى من فى غربها أن يتجه إلى الشرق، وهكذا من الشمال والجنوب، وكلٌ يتحرى موضعها.

أما لو كانت القبلة هى اتجاه ما لا نقطة أو بقعة ثابتة معينة كالغرب مثلاً، فإن من فى الشرق سيتجه إلى الغرب فتقابله الصخرة، أما لو وقف فى الغرب فاستقبل القبلة/الجهة وهى الغرب فستكون الصخرة فى ظهره لا أمام وجهه.

ذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾ أن القبلة الأولى بيت المقدس كانت قبلة لليهود، ولذلك - وهم السفهاء - عابوا على النبى ﷺ وأمته ترك هذه القبلة وغمزوهم فى تحولهم عنها.

فروى الطبرى عن السدى فى تفسير الآية قوله «فتأويل الكلام إذًا: أيها المؤمنون بالله ورسوله إذا حولتم وجوهكم عن قبلة اليهود التى كانت لكم قبلة»(١).

ونقل الطبرى أيضا عن عكرمة والحسن البصرى قالا: «أول ما

المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى جـ٢ ص ٤ مكتبة دار التراث.

(١) الطبرى. جامع البيان عن تأويل أى القرآن جـ٢ ص ٢ دار الفكر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

نسخ من القرآن القبلة وذلك أن النبى ﷺ كان يستقبل صخرة بيت المقدس وهى قبلة اليهود»[1].

ولا يذكر القرطبى (ت٦٧١هـ) فى تفسيره ما يدل على أن بيت المقدس كان قبلة لليهود إلا قوله: «قال غيره (غير أبى عمر): ولذلك فإن النبى ﷺ لما قدم للمدينة أراد أن يستألف اليهود فتوجه إلى قبلتهم ليكون ذلك أدعى لهم[2].

وفى ما نقله القرطبى عن غير أبى عمر ما يوحى بأن التوجه إلى بيت المقدس واتخاذ النبى ﷺ له قبلة كان من عند نفسه ﷺ تقربا لليهود لأنها قبلتهم لا بوحى وتوقيف من ربه عز وجل، وهو ما يخالف صريح قوله ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**﴾ (سورة البقرة ١٤٣).

وقد فطن الحافظ ابن كثير فى تفسيره إلى أن «قوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ**﴾ إخبار عن شدة متابعة الرسول ﷺ لما أمره الله تعالى به وأنه لا يتبع أهواءهم فى جميع أحواله ولا كونه متوجهًا إلى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود وإنما من أمره تعالى»[3]. وليس فى تفسير

(١) جامع البيان جـ٢ ص ٤.

(٢) الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان جـ١ ص ٦٤٠ ط١ دار الغد العربى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٣) الحافظ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ دار الكلمة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

آيات تحويل القبلة عند ابن كثير ما يدل على كون بيت المقدس قبلة لليهود غير هذه العبارة.

ونقل القرطبي أيضًا عن أبي العالية الرياحي أنه قال «وكان موسى عليه السلام يصلى إلى الصخرة بحذاء الكعبة، وهي قبلة الأنبياء كلهم[1]. وما رواه القرطبي عن أبي العالية ظاهر الخطأ في جزءه الأول (صلاة موسى عليه السلام بحذاء الصخرة) لأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يدخل بيت المقدس أصلا، وإنما مات عليه السلام في التيه وكان الذى دخل بيت المقدس فتاه وخليفته يشوع بن نون. وأما الجزء الثاني من قول أبي العالية (الصخرة قبلة الأنبياء لو كانت «هي» عائدة عليها لا على الكعبة) فلا دليل عليه من السنة مرفوعًا إلى النبي ﷺ أو لأحد من صحابته رضي الله عنهم.

وذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في الكشاف (من عند نفسه) أن اليهود تستقبل بيت المقدس»[2]. وهو ما نقله عنه الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في فتح القدير[3] دون أن يزيد.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٦٤١.

(٢) الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ومعه حاشية الشريف الجرجاني جـ١ ص ٢٤٥ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

(٣) الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير جـ١ ص ١٥٤ دار الفكر ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وفى بداية تفسير قوله تعالى ﴿ **سيقول السفهاء من الناس** ﴾ قال الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار (من عند نفسه): «كان أنبياء بنى إسرائيل يصلون إلى بيت المقدس وكانت صخرة المسجد الأقصى المعروفة قبلتهم»(١).

فى كل هذه النقول لا يوجد أثر مرفوع إلى النبى ﷺ أو إلى أحد من صحابته يرجح ما قال به المفسرون من أن الصخرة أو بيت المقدس كان قبلة لليهود، وإنما هى منهم اجتهادات عقلية محض لا دليل عليها من السنة دفعهم إليها قداسة الصخرة وبيت المقدس عند اليهود، وتفسيرهم غمز اليهود للنبى ﷺ بوجدهم عليه لأنه ترك قبلتهم ومقدسهم.

ولا يوجد فى الآية ما يشير من قريب أو بعيد إلى أن القبلة الأولى بيت المقدس كان قبلة لأحد قبل الإسلام، بل إن لفظ الآية يشير إلى خلاف ذلك، إذ إن الضمير فى قوله تعالى ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم** ﴾ يعود على النبى ﷺ وأمته لا على اليهود ولا على غير اليهود. وهو ما فطن إليه العلامة محمد الطاهر بن عاشور فى تفسيره، فبعد أن ذكر فى بدأ تفسير آية تحويل القبلة أن القبلة الأولى بيت المقدس كانت قبلة اليهود متابعًا من سبقه من المفسرين، عاد فتنبه إلى أن «إضافة القبلة إلى ضمير المسلمين ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم التى**

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار ج٢ ص ٢ ـ دار المعرفة ببيروت ط٢ بدون تاريخ.

كَانُوا عَلَيْهَا﴾ للدلالة على مزيد اختصاصها بهم، إذا لم يستقبلها غيرهم من الأمم، فإن المشركين لم يكونوا من المصلين، وأهل الكتاب لم يكونوا يستقبلون فى صلاتهم»[1].

ماذا إذًا عن قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ والآية نصت على وجود قبلة لأهل الكتاب أمر النبى ﷺ وأمته معه فى صيغة الخبر بعدم اتباعها: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾؟.

الآية تثبت قبلة وتضيفها إلى الذين أوتوا الكتاب وتنهى النبى ﷺ عن اتباعها، ولكن الآية لا تعين ما هى هذه القبلة التى للذين أوتوا الكتاب والمنهى عن اتباعها.

ولو جمعنا آية تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وأية النهى عن اتباع قبلة أهل الكتاب: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ لوجدنا أن الجهة منفكة بين الآيتين، وأن الآية الأولى تعنى قبلة غير التى تعنيها الآية الثانية. وذلك كقوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ (الأنفال ١٧).

فالآية الأولى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ تتكلم عن قبلة معينة محددة هى القبلة المحول عنها. وهذه لا سبيل لاجتهاد ولا لإعمال عقل فيها، فهى بيت المقدس نصًا

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج٢ ص ٨ ـ ٩.

فى السنة لما رواه الإمام البخارى[1] والإمام مسلم[2] واللفظ له والإمام أحمد[3] عن البراء بن عازب قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة». ولكن هذه الآية التى تتكلم عن قبلة معينة محددة مخصوصة هى القبلة المحول عنها (بيت المقدس) لا يوجد فيها ما يشير من قريب أو بعيد إلى أن هذه القبلة المعينة المحددة كانت قبلة لأحد قبل النبى ﷺ وأمته أهل كتاب أو غير أهل كتاب.

والآية الثانية: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ تنسب قبلة لأهل الكتاب، ولكن ليس فيها ما يعين هذه القبلة، ولا فى لفظ الآية ما يشى بأن هذه القبلة المضافة لأهل الكتاب والمنهى عن اتباعها هى بيت المقدس القبلة المحول عنها.

فالآية الأولى تعين قبلة هى بيت المقدس ولا تنسبها لأهل الكتاب، والآية الثانية تنسب قبلة لأهل الكتاب ولا تعينها أو تحددها. ولا يوجد عقلاً رابط لفظى فى الآيتين يجعل القبلة المعينة المحول عنها هى القبلة الثانية المنهى عن اتباعها، كما أنه لا يوجد نقلاً فى السنة ما يدعو إلى ربط الآيتين فى رباط واحد واعتبار القبلتين اللتين

---

(١) صحيح البخارى. كتاب التفسير. باب ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ حديث رقم ٤٤٨٦ ج٣ ص ١٣٥٦.

(٢) صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواقع الصلاة. باب تحويل القبلة. حديث رقم ٥٢٥ ج١ ص ٣٧٤.

(٣) مسند الإمام أحمد. حديث رقم ١٨٤٠٧ ج١٤ ص ١٩١.

تتكلم عنهما الآيتان قبلة واحدة كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، انتقالا من كون الصخرة وبيت المقدس مقدسة عند اليهود إلى اعتبارها قبلة لهم وحملاً ما قاله السفهاء، وهم عندهم اليهود، على عيرتهم على قبلتهم التى تركت وحول ﷺ عنها.

وما كان عمز اليهود للنبى ﷺ لأنه ترك قبلتهم، ولكنهم وهم قوم بهت، إنما أرادوا فتنة من أسلم عن دينه وأنكروا على النبى ﷺ مجرد الترك والتحول من قبلة إلى قبلة، غامزين إياه ﷺ بالحيرة فى القبلة علامة على التقلب فى الملة والتردد فى الدين، فهم قد غمزوا النبى ﷺ فاتنين لا واجدين

وهو وجه ذهب إليه بعض المفسرين فقال الفخر الرازى (ت٦٠٤هـ) فى التفسير الكبير: «فمن الناس من قال: ثم إنه لما حول مرة أخرى إلى الكعبة ∀" ذلك على اليهود حيث إنه ترك قبلتهم. وأما الأكثرون من أهل التحقيق فقالوا: هذه المحنة إنما حصلت بسبب التحويل، ذلك أبهم قالوا: إن محمدا ﷺ لو كان على يقين من أمره لما تغير رأيه»(١).

وقال البغوى فى معالم التنزيل: «طعنوا (اليهود) فى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة وقالوا لمشركى مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بيكم وهو راجع إليكم»(٢).

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب حـ٣ ص ١١٥

(٢) الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى معالم التنزيل

فـإذا لم تكن القبلـة فى قوله تعـالى ﴿وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ هى القبلة المحول عنها بيت المقدس، فماذا تكون؟.

القبلة لغويًا كما أسلفنا هى مجرد الجهة أو الوجهة والاتجاه الذى يستقبله المرء فى صلاة أو غير صلاة، ويحتمل أن تكون القبلة المقصودة فى الآية هى القبلة على الأصل اللغوى أى الاتجاه والوجهة.

يشهد لذلك أمران:

الأول: أنه لم يختلف أحد من المفسرين فى أن قبلة النصارى هى المشرق أو مطلع الشمس[(١)].

والمشرق أو مطلع الشمس هو مجرد اتجاه لا بقعة معينة، فهو قبلة لغويًا لا على الاصطلاح. فما الذى يمنع أن يكون المقصود بقبلة اليهود مجرد الاتجاه كقبلة النصارى لا بقعة ثابتة سواء كانت بيت المقدس أو غيره، لاسيما والأمران يستويان فى افتقاد الدليل.

والأمر الثانى: الذى يشى بأن قبلة اليهود قد تكون مجرد اتجاه هو ما نقله الفخر الرازى عن أبى مسلم (الأصبهانى) فى تفسير قوله تعالى ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾، نقل

(تفسير البغوى) جـ١ ص ١٢٢ تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان صوان - دار المعرفة ط١ بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١) الكشاف جـ١ ص ٢٤٥، جامع البيان جـ٢ ص ٢٤، مفاتيح الغيب جـ٣ ص ١٣٩، فتح القدير جـ١ ص ١٥٤، روح المعانى جـ٢ ص ١١.

عنه وجها فى تفسير الآية يعنينا منه قوله: «فإنهم (السفهاء، وهم على هذا الوجه المشركون) كانوا لا يعرفون إلا قبلة اليهود وقبلة النصارى، فالأولى إلى الغرب والثانية إلى الشرق. فلما رأوا رسول الله ﷺ متوجهًا نحو الكعبة كان ذلك عندهم مستنكرًا فقالوا: كيف يتوجه أحد إلى غير هاتين الجهتين المعروفتين»[1] ؟ فعند أبى مسلم قبلة اليهود هى مجرد الاتجاه إلى الغرب لا الصخرة أو بيت المقدس.

وفى معالم التنزيل قال الإمام البغوى (ت٥١٦هـ): قوله تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل الشرق[2]، فجمع الإمام البغوى فى قبلة اليهود بين الاتجاه وهو المغرب أو الغرب وبين البقعة الثابتة التى يتوجه إليها المصلى ويتحراها من أى اتجاه وهى بيت المقدس، وهما لا يجتمعان كما أشرنا إلا بافتراض أن اليهودى لا يصلى إلا شرق الصخرة.

وما يعنينا هو أنه إذا كان بعض أئمة التفسير قد اعتبر قبلة اليهود اجتهادًا منه هى بيت المقدس، فهى عند بعضهم الأخر اجتهادًا منه أيضًا مجرد الاتجاه وهو الغرب. واختلافهم فى التحديد دليل على أنه لا نص عليها، وإلا ما خالف أحد.

على أنه يمكن حمل القبلة فى قوله تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب مجلد ٢ جـ٣ ص ١٠٢.

(٢) معالم التنزيل جـ١ ص ١٢٥.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ على القبلة أو الجهة والوجهة المعنوية بمعنى الطريق أو المنهج والشريعة لا على القبلة المادية اتجاهًا كانت أو بقعة ثابتة يتوجه إليها الإنسان. ويكون المراد بالآية نهى النبى ﷺ وأمته عن اتباع طريق أهل الكتاب وإخباره ﷺ أنه لا هؤلاء بمتبعى شرع وطريق أولئك، ولا أولئك بسائرين فى طريق هؤلاء.

وقد نقل ابن عطية الأندلسى (ت: ٥٤١هـ) فى تفسيره المحرر الوجيز عن السدى وابن زيد قولهما: «ثم أخبر تعالى أن اليهود ليست متبعة قبلة النصارى ولا النصارى متبعة قبلة اليهود، فهذا إعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم»[١]. فحمل السدى وابن زيد المراد بالآية على المعانى لا على الأماكن والجهات.

وفى تفسير الآية التى بعدها ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ نقل القرطبى[٢] عن ابن عباس وابن جرير والربيع وقتادة أن قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أى يعرفون تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أنه حق.

ونقل أيضًا عن مجاهد وقتادة وغيرهما أن الضمير فى

---

(١) الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسى. المحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز جـ٢ ـ ص ١٧ تحقيق الرحالى الفاروقى وعبد الله بن إبراهيم الأنصارى والسيد عبد العال إبراهيم ومحمد الشافعى صادق العنانى. طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر. الدوحة. المحرم ١٣٩٨هـ ديسمبر ١٩٧٧م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ١٥٢.

﴿يعْرِفُونَهُ﴾ عائد إلى النبى ﷺ، أى يعرفون نبوته وصدق رسالته. فحمل أحد الوجهين المعنى على القبلة المادية المكانية وهو ما يتفق مع اعتبار القبلة فى الآية السابقة ﴿وَمَا أنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ هى الجهة أو المكان.

ولكن الوجه الآخر حمل المعنى على النبوة والشريعة وهو ما يتفق مع ما اعتبار القبلة فى الآية السابقة هى الشريعة والمنهج لا المكان والجهة.

فما الذى يدعو إلى ترك اعتبار المقصود بالقبلة المضافة إلى اليهود والمنهى عن اتباعها بيت المقدس والبحث عن مقصود آخر بالقبلة سواء كان اتجاهًا ماديًا أو أمرًا معنويًا؟

أولا: السنة:

لا يوجد فى السنة المطهرة ما يشير إلى أن بيت المقدس كان قبلة لليهود أو لأحد غيرهم قبل النبى ﷺ إلا أثران:

الأول: ما رواه أبو داوود (ت: ٢٧٥هـ) فى ناسخه[١] عن أبى العالية الرياحى أن رسول الله ﷺ نظر نحو بيت المقدس فقال لجبريل: وددت أن الله صرفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها. فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك، ولا أملك لك شيئًا إلا ما أمرت، فادع ربك وسله. فجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن

(١) الدر المنثور جـ١ ص ١٤٨.

يأتيه جبريل بالذى سأل، فأنزل الله: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾.

وأبو العالية الرياحى لم ير النبى ﷺ لكى يروى عنه، فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ٥٨٢هـ) فى تهذيب التهذيب أن رفيع ابن مهران وهو أبو العالية الرياحى أسلم بعد وفاة النبى ﷺ بسنتين، ونقل الحافظ ابن حجر عن أبى العالية نفسه أنه سئل: هل رأيت النبى ﷺ؟ فقال: جئت بعده بسنتين أو ثلاث[١].

أما الأثر الثانى: فهو ما روى عن محمد بن شهاب الزهرى موقوفًا عليه، قال: لم يبعث الله عز وجل منذ هبط آدم عليه السلام إلى الدنيا نبيًا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس[٢].

وقد نقل محقق فضائل البيت المقدس للخطيب الواسطى[٣] عن الحافظ شهاب الدين أبى محمود أحمد بن محمد بن هلال المقدسى الشافعى (ت ٧٦٥هـ) فى كتابه مثير الغرام لزيارة القدس والشام (مخطوط فى المكتبة الوطنية بباريس) تعليقه على حديث الزهرى قال: وهذا إن صح عن الزهرى فغير موافق عليه.

وعقد المنهاجى السيوطى فى اتحاف الأخصا فصلاً للكلام عن القبلة وتحويلها نقل فيه نقلاً مطولاً عن الفقيه الشافعى بدر الدين بن

---

(١) الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى. تهذيب ا+
جـ٣ ص ٢٤٦ دار الفكر ط١ ٤ ١٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) (٧) الخطيب الواسطى. فضائل البيت المقدس ص ٥١، ٥٢

جماعة (ت ٧٣٣هـ) فند فيه قول الزهرى، ثم أراد ابن جماعة إيجاد وجه يقبل به كلام الزهرى فقال: «لقد خطر لى أن جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين صلوا إلى بيت المقدس لكن لا بالمعنى الذى أراده الزهرى، لكنهم جمعوا له ﷺ ليلة الإسراء فأمهم وكان ذلك قبل الهجرة وقبل التحويل»[١].

إذًا لم يرد فى السنة المطهرة ما ينبأ بأن بيت المقدس كان قبلة لموسى عليه الصلاة والسلام وقومه بنى إسرائيل أو لأحد غيرهم، وإنما على خلاف ذلك ورد فى سنة رسول الله ﷺ ما يستشف منه نفى ذلك.

فقد روى الإمام أحمد فى مسنده[٢] بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من اليهود استأذن فى الدخول على النبى ﷺ، فأذن له. فلما دخل قال: السلام عليك. فقال النبى ﷺ: وعليك. فلما خرج قال ﷺ: «إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين».

فنص ﷺ على أنهم ضلوا عن القبلة، ولو كان اليهود يتخذون بيت المقدس لهم قبلة ما قال ﷺ إنهم ضلوا باتخاذها، إذ أنى له ﷺ أن يقول ذلك وهى قبلته بوحى وتوقيف من ربه عز وجل قبل

(١) اتحاف الأخصا جـ١ ص ١٨٥.

(٢) المسند حيث رقم ٢٤٩١٠ ج١٧ ص ٤٩٣.

الهجرة وستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا بعدها؟ وإلا كانت صلاته هو إليها ضلالاً ﷺ.

ثانيا: التوراة:

الشريعة اليهودية فى التوارة، والتوارة أنزلت على موسى، وموسى عليه السلام مات فى التيه قبل أن يدخل بيت المقدس. والمسجد المقدس كان من وضع داوود عليه السلام وبناء ابنه سليمان عليه السلام، أى بعد عصر نزول التوارة بمئات السنين، وليس فى أسفار التوارة ومنها أسفار تقص أخبار داوود وسليمان عليهما السلام ما يفيد أن الصلاة تكون إلى قبلة مطلقًا، لا القبلة بمعنى الاتجاه لموضع معين مخصوص لا تصح الصلاة إلا بالتوجه نحوه، ولا القبلة بمعنى مجرد الاتجاه لا شرقًا ولا غربًا.

وقد ذكر ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) فى بدائع الفوائد أن اليهود كانوا يصلون إلى التابوت الذى معهم إذا خرجوا، وإذا قدموا بيت المقدس نصبوه إلى الصخرة وصلوا، فلما رفع اجتهدوا فأدى اجتهادهم إلى الصلاة إلى موضعه وهو الصخرة، ثم عقب بقوله: «وليس فى التوارة الأمر بذلك»[١].

وقد فحصنا من التوارة نحو ستين موضعًا ذكرها واضعو قاموس

(١) الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى المعروف بابن القيم. بدائع الفوائد جـ٤ ص ١٧١ ـ ١٧٢ المطبعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقى الأزهرى. التاريخ غير موجود.

الكتاب المقدس[1] على أنهـا أهم الصلوات الـمـدونة فى الكـتـاب المقدس، فلم نجد فيها مـا يشير إلى صلة بين صلاة اليهود وأورشليم أو بيت المقدس إلا فى ثلاثة مواضع.

الأول: هو ماجاء فى سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الثانى على لسـان سليـمان بعـد إتمـام بناء الهيكل، إذ وقـف أمام جـماعـة إسرائيل ورفع يديـه إلى السـماء وتضـرع إلى الله وكـان من دعـائه: «... إذا أخطأوا إليك ... ودفعتهم أمام العدو وسباهم سابوهم إلى أرض العدو ... فـإذا رجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفـسهم فى أرض أعـدائهم الذين سـبـوهم وصلـوا إليك نحـو أرضـهم التى أعطيت لآبائهم نحو المـدينة التى اخترت والبـيت الذى بنيت لاسمك فاسمع فى السماء»[2].

ونقول: **أولاً**: إن الصلاة التى ذكـر مواضعـها واضعو القـاموس ليست صلاة بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن الإسلامى وهو أنها حركات مخصوصة تؤدى بترتيب مخصوص، الخروج عنها يبطل الصلاة.

وإنما الصلاة فى المـواضع الستين التى ذكرها واضعـو القاموس هى مجرد تـوجه للإله بالخطاب سواء كان هذا الخطاب دعـاء أو طلبا لمعونة أو ندما وتضرعا أو تغنيا بعظمة الإله ومجده.

وفى بعض المواضع قد يأتى هذا التـوجه بالخطاب للإله فى ثنايا مخـاطبة النبى أو الملك أو الرجل الصـالح لبنى إسرائيل، فـيكلمهم

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٩ - ٥٥١.

(٢) الملوك الأول ٨: ٤٦ - ٤٩، أخبار الأيام الثانى ٦: ٣٦ - ٣٩.

ويعظهم أو يوبخهم أو يأمرهم وينهاهم، وفى أثناء مخاطبته لهم يتوجه بالخطاب إلى الإله ثم يعود ليتم كلامه الذى يوجهه إليهم، فيسمى واضعوا القاموس ذلك صلاة.

فالصلاة فى اصطلاح القاموس هى مجرد التوجه للإله بالخطاب، ولم يذكر واضعوه فى مادة «صلى، يصلى، صلاة» اشتراط وجهة معينة فى هذه الصلاة.

ثانيًا: فى صلاة سليمان المذكورة ذكر كاتبو السفرين أن سليمان حين أراد الشروع فى الصلاة (الدعاء) «وقف أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه لأن سليمان صنع منبرًا من نحاس وجعله وسط الدار . . . ووقف عليه ثم جثا على ركبته تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه نحو السماء»[1].

وحسب هذا الوصف للشروع فى الصلاة فإن سليمان كان يقف أمام المذبح يوليه ظهره ووجهه تجاه بنى إسرائيل.

والمذبح حسبما ذكر واضعو القاموس وحسبما ذكرت الموسوعة اليهودية[2] هو موضع الصخرة المقدسة، فسليمان حسب الوصف التوراتى لصلاته أو دعاءه كان يصلى أو يدعو والصخرة فى ظهره لا فى وجهه.

ثالثًا: الفقرة فى دعاء سليمان أو صلاته التى يدعو الإله فيها أن يسمع لبنى إسرائيل إذا صلوا نحو «أرضهم التى أعطيت لآبائهم نحو

---

(١) الملوك الأول ٨: ٢٢، أخبار الأيام الثانى ٦: ١٢ ـ ١٤.

(٢) Encyclopaedia Judaica vol. 15 p. 951.

المدينة التى اخترت والبيت الذى بنيت لاسمك»، هذه الفقرة كلها مدخولة مقحمة على دعاء سليمان لعلة واضحة، وهى أن هذا الدعاء كان قبل السبى البابلى بما يربو على ثلاثمائة عام!.

ونسبة هذا الدعاء لسليمان يعنى أنه وهو فى ذروة مجده وبهاء سلطانه وقد بنى الهيكل ويفتتحه بالصلاة كان يخبر بنى إسرائيل أنهم سيسبون بعد ثلاثمائة عام ليدعو لهم بالعودة منه!

أما المنطق السديد، وهو ما يؤيده ما حشيت به سيرة سليمان التوراتى من أكاذيب وأساطير فهو أن السفر كله تمت كتابته فى عهد متأخر عن زمن أحداثه، فى فترة السبى البابلى أو بعدها.

فوضع كتبته وهم فى زمن الذلة والاستضعاف الدعاء بالعودة من السبى الذى هم فيه على لسان سليمان رمز المجد والعزة، ثم ربطوا إجابة الدعاء بالتوجه نحو الأرض التى فقدوها وأخرجوا منها لربط الشعب الإسرائيلى بها، وقد أصبحت هذه الأرض التى فقدوها والحنين إليها والتوجه نحوها هو الشىء الوحيد الذى يملكه قادة الشعب لربطه ببعضه وحفظه من الذوبان فيما حلوا فيه من أقوام، ومن ثم إبقاء سلطانهم عليه.

رابعًا: صحح من لا ينطق عن الهوى ما حشا به كتبة التوراة دعاء سليمان من أكاذيب فقال ﷺ: «لما فرغ سليمان من بناء البيت المقدس سأل الله ثلاثًا: ... وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه».

A+ عليه السلام LC, بالمغفرة لمن أتى المسجد A) فيه Y
لمن دعا أو صلى فى السبى الذى سيحدث بعده بقرون وهو يتوجه «نحو أرضهم».

والموضع الثانى الذى جاء فيه ذكر البيت المقدس عند الصلاة هو ما جاء فى سفر أخبار الأيام الثانى من أن يهو شافاط ملك يهوذا حين اجتمع لمحاربته المؤابيون والعموريون «وقف فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب وقال: يا رب ألست أنت إلهنا وأعطيتها (الأرض) لنسل إبراهيم وبنوا لك فيها مقدسًا لاسمك قائلين: إذا جاء علينا شر سيف قضاء أو وبأ أو وجع ووقفنا أمام هذا البيت وأمامك لأن اسمك فى هذا البيت وصرخنا إليك من ضيقنا فإنك تسمع وتخلصنا»(١).

ومرة أخرى: ليست هذه صلاة مخصوصة بحركات مخصوصة فى وقت مخصوص ولكنها مجرد دعاء لطلب العون، وإجابته حسب قول يهوشافاط مشروطة بالوقوف أمام البيت أى المجىء إليه.

والوقوف أمام البيت أى المجىء إليه شىء وكونه قبلة يتوجب على المصلى أن يتجه إليها ويتحراها من أى مكان على ظهر الأرض شىء آخر.

ونص دعاء يهوشافاط على ذلك يتفق مع نص الحديث النبوى الشريف من أن المغفرة مشروطة بالصلاة والدعاء فى البيت لا بالتوجه

---

(١) أخبار الأيام الثانى ٢٠: ٥ ـ ٩.

نحوه، وهو ما يؤكد تحريف الدعاء الوارد على لسان سليمان فى سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الثانى ودس الفقرة الواردة عن السبى فيه.

وأما الموضع الثالث الذى فيه إشارة إلى صلة صلاة اليهود ببيت المقدس ففى سفر دانيال، وفيه أن ملك الفرس دار يوس اصدر بتحريض من مرازبته ووزراءه ومشيريه وولاته أمرًا بأن كل من طلب طلبًا من إنسان أو إله سواه يطرح فى جُب الأسود «فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة فى عُليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم وصلى وحمد قدام إلهه»(٢).

ونقول:

لا علاقة بين هذا النص من سفر دانيال وبين القبلة كما أشرنا مرارا بالمعنى والاصطلاح الإسلامى، أى: وجود بقعة أو موضع يجب على المصلى من أى مكان على وجه الأرض يصلى فيه أن يتجه نحوه وإلا بطلت صلاته.

وذلك:

أولاً: لأن شريعة بنى إسرائيل جاء بها موسى عليه السلام تامة كاملة، وكل أنبياء بنى إسرائيل بعده إنما جاءوا لتذكيرهم بها وإعادة من ضل منهم إليها.

وقد ذكر الإمام القرطبى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى**

(٢) دانيال ٦ ـ ١٠.

الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل﴾ (البقرة ٨٧) أن «كل رسول بعد موسى فإنما جاء بإثبات التوراة والأمر بلزومها»[1].

والتوراة نفسها نصت على أنه «لا يقوم أيضًا نبى فى بنى إسرائيل كموسى»[2]

وموسى عليه السلام مات فى التيه فلم ير بيت المقدس ولا الصخرة.

وليس فى الأسفار المنسوبة إليه عليه السلام ما يشى باشتراط التوجه لموضع معين لقبول الدعاء أو صحة الصلاة. فالقول بأن توجه دانيال نحو أرشليم دليل على وجوب القبلة ووجوب التوجه نحو بيت المقدس يعنى تعديل دانيال فى شريعة موسى، وهو ما يناقض التوراة نفسها.

ثانيًا: فى نص السفر ما يوحى أن التوجه نحو أوشليم لم يكن إلا «حالة» خاصة بدانيال ألزم هو نفسه بها. فالسفر ينص على أنه ذهب إلى بيته «وكواه مفتوحة فى عُليته نحو أورشليم».

فدانيال لم يول وجهه عند الدعاء أو الصلاة شطر أورشليم وإنما نحو نافذة أو كوة مفتوحة فى سقف بيته أو أعلاه يتطلع منها إليها.

وما قال أحد فى العالمين أن اتخاذ بقعة قبلة يتجه إليها المصلى يعنى فضاء السماء وخلاء الأرض بينه وبينها حتى لا يحجب هذا

---

(١) الإمام القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٥٢٣

(٢) تثنية ٣٤: ١٠

الموضع أو البقعة عنه حاجب، وإلا لوجب على كل مصل وأصبح شرطا لصحة صلاته أن يفتح طاقة فى سقف بيته يتطلع من خلالها إلى موضع قبلته الذى يتجه إليه.

فهذه الزيادة من دانيال هى نص فى نفى وجوب القبلة لا إثبات له، إذ هى تدل على طقوس خاصة وضعها دانيال لنفسه.

وهو ما يؤكده نص السفر نفسه إذ يقول: «... وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل كل يوم» أى كما كان يفعل هو وحده لا كل اليهود.

ثالثًا: فما فى نص سفر دانيال ليس حكمًا تشريعيًا ولكنه «حالة» نفسية ووجدانية، فدانيال النبى فى السبى يذوب لوعة لفقدان أورشليم وينفطر قلبه حزنًا لفراقها، وكل دعائه ونبوءاته وتضرعه ونواحه فى السفر لها أو عليها أو من أجلها.

فلم يجد سلوانًا لنفسه بين بنى إسرائيل غلاظ القلب صلب الرقبة إلا أن يجعل دعاءه نحوها ذارفًا الدمع عليها وكأنه يراها، فيخاطبها أو يبكى أمامها أو يتضرع من اجلها فاتحا سقف بيته عليها حتى لا يحجبه عنها جدار ولا سقف.

وهذا كله شيء ووجوب التوجه نحو أورشليم من أى مكان فى الأرض كشرط لصحة الصلاة تبطل من غيره شيء آخر.

والموسوعة اليهودية تذكر أن توجه بعض اليهود فى دعائهم وصلاتهم نحو موضع الهيكل لم يحدث إلا بعد خرابه النهائى سنة ١٣٥م، أى بعد انتهاء عصر الأنبياء وتدوين التوراة، ثم تجعل

الموسوعة هذا التوجه من قبيل العادات اليهودية (Tradition) لا من أركان الصلاة ولا من شروط صحتها[1].

فليس فى التوراة إذًا دليل على أن بيت المقدس أو الصخرة كان قبلة لليهود والتوجه نحوها شرط لصحة صلاتهم.

ثالثا: المعابد اليهودية:

لا يوجد فى المعابد اليهودية ولا فى الكنائس النصرانية قبلة ولا وجهة معينة يتجهون إليها عند الصلاة لا إلى بيت المقدس ولا حتى إلى اتجاه معين شرقًا أو غربًا.

ودراسة دور العبادة فى مختلف الديانات يتضح منها أن «القبلة ظاهرة عبادة ينفرد بها الإسلام دون غيره فلا يعرف فى اليهودية أو النصرانية أو البوذية أو الهندوكية وما إليها شيئ يشبه القبلة، وإنما يصلى أهل هذه الديانات فى أى اتجاه ويبنون معابدهم بحسب معارفهم الهندسية وما تتطلب»[2].

فالقبلة، أى المكان المحدد المعين الذى يتجه إليه المصلى فى أى مكان من الأرض هو خصيصة الإسلام ومساجده وحده، وهو من تمام نعمة الله عز وجل على هذه الأمة ومن وجوه إكمال دينه وكماله.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ٣).

---

(١) Encyclopaedia Judaica vol. 16 p. 468.

(٢) دكتور حسين مؤنس المساجد ص ٧١ عالم المعرفة (٣٧) صفر/ربيع الأول ١٤٠١هـ - يناير ١٩٨١م.

عمر وكعب واليهودية

إذا لم تكن الصخرة قبلة لموسى عليه السلام ولا شرطا لصحة صلاة اليهود فما الذى أراد كعب مضاهاة اليهودية به حين أشار على عمر ﷺ بالصلاة عند الصخرة وهو ما فطن إليه عمر وخالفه؟

ما أراد كعب مضاهاة اليهودية به من صلاة عمر ﷺ خلف الصخرة لا جعلها قبلة ولكن مجرد الصلاة عندها وفى موضعها؟

وما مضاهاة اليهودية فى ذلك؟

مضاهاة اليهودية لأن الصخرة هى أساس الهيكل اليهودى وهى موضع قدس الأقداس منه[١] وهى على الأرجح فى موضع مذبح المحرقة كما كان فى هيكل سليمان[٢]، وهو أقدس مواضع الهيكل والذى لا يدخله إلا الحبر الأعظم وبعد طقوس تطهرية خاصة.

فكعب أراد دفع عمر ﷺ إلى الصخرة ليقف إمام المسلمين الأعظم من الساحة المقدسة فى مقام حبر اليهود الأعظم، ويقف المسلمون خلفه وقوف اليهود فى الهيكل المقام فى منتصف هضبة الحرم حول حبرهم فى قدس الأقداس عند الصلاة[٣].

---

(١) مخطط الهيكل السليمانى والهيرودى وموضع قدس الأقدس من كل منهما فى عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود اليهودية والصهيونية [illegible] ص ١٦٤، ١٦٤، وأيضا فى القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ص ٦٧، ٢٣٢. وكذلك Encyclopaedia Judaica vol. 15 p. 944 - 962

(٢) قاموس الكتاب المقدس، Encyclopaedia Judaica vol. 15 p. 951

(٣) وصف الصلاة اليهودية وكيفيتها وصفا تفصيليا دون أى ذكر لوجوب

فكعب أراد مضاهاة اليهودية يجعل صـلاة المسلمين فى المسجد على هيئة وصفة صلاة اليهـود فى الهيكل: صلاة فى منتصف الساحة يتقدمها الإمام/الحبر الأعظم فى موضع الصخرة قدس الأقداس.

التوجه نحو وجهة محددة ذكى شنودة. المجتمع اليهودى ص ١١٠ ـ ١١٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م.

خاتمة ودعوة

ما نريد أن نختم به، هو دعوة لأن يعاد الاعتبار للاسم الذى سمى الله عز وجل به هذه البقعة المقدسة وهو المسجد الأقصى، ولا نؤثر ما جرى به العرف من تسمية هذه البقعة بالحرم على ما نص عليه عز وجل فى كتابه واختاره اسمًا لها.

ولأن المسجد الأقصى قد صار علمًا على الجامع المبنى جنوب المسجد الأقصى والذى بناه عبد الملك بن مروان وأتمه الوليد سنة ٧٣هـ، ولأن ميراث القرون جعل من العسير صرف الأذهان عن المكان الذى اتخذه عمر ﷺ مصلى وعن هذا الجامع عند ذكر المسجد الأقصى، ولمنع الاختلاط بين المسجد الأقصى الصغير والمسجد الأقصى الكبير، فليسم المسجد الأقصى المذكور نصًا فى القرآن الكريم بالقرآنى، فهو المسجد الأقصى القرآنى، ويقابله المسجد الذى بناه المروانيون فيصبح هو المسجد الأقصى المروانى.

قال عز وجل: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾.

ضميمة لا بد منها

الأرض والمقدسات بين التفسير الإسلامى والتفسير اليهودى

ربما يجد قارئ هذه الرسالة أو الكتاب الصغير تساؤلاً يثور فى نفسه وهو يوغل فى القراءة: إذا كان الدليل على أن البقعة المقدسة مقدسة هو معرفة اليهود بها وتقديسهم لها والرابطة الوثيقة بينهم وبينها، أفلا يكون هذا دليلاً فى الوقت نفسه على أن هذه البقعة المقدسة هى فعلاً أرض اليهود وحقهم؟.

كيف لا ومن يطالبهم بها ويخاصمهم فيها إنما يستدل بهم عليها؟!

وقد يحول التساؤل فى العقل شكًا وفى النفس قلقًا، إذا كانت هذه البقعة التى يسميها المسلمون المسجد الأقصى ويسميها اليهود جبل الهيكل هى من شراء داوود وبناؤها من فعل ابنه سليمان، أفلا يكون اليهود هم أصحابها حقًا لا ادعاءً؟

وهل اليهود إلا أنسال داوود وسليمان؟!

وإذا كان اليهود هم أصحاب هذا المكان بالشراء «فقال داوود لأرنان أعطنى مكان البيدر فأبنى فيه مذبحًا للرب فقال الملك داوود لأرنان لا بل شراءً أشتريه بفضة كاملة لأنى لا آخذ مالك ... ودفع داوود لأرنان عن المكان ذهبًا وزنه ست مئة شاقل وبنى داوود هناك

مذبحًا للرب»[1]، وهو مقدسهم الذى لا أقدس منه عندهم قبل أن يستحوذ عليه العرب بمئات السنين، فما بال هؤلاء العرب ينازعون فى المكان المقدس أهله؟!

وإذا كان ذلك كذلك واليهود على حق وهم إنما يقاتلون ويقتلون من أجل بقعة هى ملكهم فما هذا الذى يدعيه العرب والفلسطينيون من أن اليهود لا حق لهم فى هذه البقعة المقدسة؟ وما فائدة هذا السيل المتحدر من الكتابات التى لحمتها وسداها إنكار أى رابطة بين اليهود وبين هذه البقعة اتكاء على عدم وجود أثر للهيكل الذى «يزعمون» وجوده؟

ويسكب الكاتب على الشرارة فى نفس وعقل قارئه زيتًا وكبريتًا فيقول له: هب أن العرب واليهود جلسوا للفصل فى من هو أحق وأولى بحيازة المكان المقدس فلم يخرج اليهود التوراة دليلاً على ملكيته بالشراء ولم يأتوا بآثار وأحافير تنطق بسبق ملكية اليهود له ومن ثَمَّ حقهم فيه وهو ما نزع منهم إلا غصبًا، هب أن اليهود تركوا ذلك كله وأخرجوا للعرب على مائدة التفاوض وطاولات المنظمات الدولية سنن النسائى وسنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد وفيها أن النبى ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داوود من بناء بيت المقدس»، لو فعلها اليهود ماذا سيكون رد من جعلوا عمود حقهم فى المكان المقدس هو دحض حيازة اليهود له؟

---

(١) أخبار الأيام الأول ٢١: ٢٢ ـ ٢٧.

أسيكذبون النبى ﷺ أم سينكرون السنة؟ وما ذلك من بعضهم ببعيد! بيد أنه غير مجد قبالة يهود.

لو كان فى اليهود ذكى أريب لما أخرج وثيقة ولا مستندًا يبارز به العرب أجمعين غير كتب السنة المشرفة: نبى العرب يقر أن اليهود وبطلهم داوود هو الذى اشترى الهضبة المقدسة وأن ابنه سليمان ملك اليهود هو الذى بناها، وسيد الدليل ما جاء من الخصوم.

لو فعلها اليهود فى محفل مفاوضات لامتلكوا البقعة المقدسة بالضربة القاضية دون توراة ولا حفريات ولا آثار ولا قتال؟

أتعرف لماذا سيكسب اليهود بالضربة القاضية؟

لأن من يواجهونهم ويدحضون حججهم هم أيضًا يهود ولكن أكثرهم لا يعلمون! وما يغلب فرع أصله أبدًا.

ما هذه الألغاز والأحاجى؟ وهل العرب يهود؟ وكيف يكون العرب يهودًا؟ أيسعون فى بناء الهيكل أم ينتظرون البقرة الحمراء؟!

لا هذا ولا ذاك!

وتوقيًا للألغاز والأحاجى نبدأ من البداية.

يوجد تفسيران لا ثالث لهما للعلاقة بين الإله والبشر.

التفسير الأول: هو أن الإله قدس قومًا أو شعبًا أو قبيلة (أو قدسته هى) تقديسًا أبديًا غير مشروط، لا يتوقف على إيمانهم به أو كفرهم، طاعتهم له أو معصيتهم.

ولأن رابطة الإيمان والطاعة فى هذا التفسير ليست هى المحك

ولا الفيصل والميزان فى الحكم على الشعب و القبيلة أو القوم، تختلق القبيلة أو القوم أو الشعب الذى لا يمكنه الاستغناء عن وجود إله بضرورة الفطرة رابطة تحل محلها، رابطة «آمنة» لا تفصمها المعصية ولا المروق على الإله.

وهذه الرابطة التى لا تتوقف على إيمان ولا طاعة ويمكن للقوم والقبيلة فعل ما يشتهون فى ظلها هى رابطة الدم بالإله والعلاقة العضوية النسبية بينه وبين قومه.

وهى الرابطة والعلاقة التى يصير بها الإله إله هذا الشعب أو القوم فقط، فهو لا ينظر إلا لهم ولا يرضى عن غيرهم ولا يسمح لأحد بعبادته سواهم.

فالإله فى هذا التفسير أو النموذج العقائدى هو رأس قومه أو شيخ قبيلته ليس لها أن تتخطاه كما أنه هو نفسه محصور بقومه، وقبيلته هى حدوده التى ليس فى مقدوره عبورها.

هذا التفسير يعترف ضمنا بوجود آلهة أخرى، فكما للقبيلة أو الشعب إلهه، فلكل شعب وقبيلة إلهها وإن اعتز كلٌ بإلهه واعتبره أقوى الآلهة.

وكل نزاع فى هذا التفسير بين الشعب أو القبيلة وغيرها من الشعوب أو القبائل هو فى حقيقته صراع بين الآلهة، وما صراع القبائل والأقوام إلا مظهر هذا الصراع بين الآلهة، فكل إله ينتصر بقومه: نصره نصرهم وخذلانهم خذلانه.

أما التفسير الثانى لعلاقة الإله بالناس فهو ان الله عز وجل هو رب الناس جميعا، خلقهم جميعا ورزقهم جميعا ولا يصطفى أحدا على أحد بنسب ولا يفضل قوما على قوم ولا إنسانا على إنسان إلا بالإيمان به وطاعته، فمن آمن به عز وجل وبأسمائه وصفاته التى وصف بها هو جل وعلا نفسه، ومن أطاعه فما يريد عز وجل كان وليه ومحل نصره. ومن كفر به أو سماه أو وصفه عز وجل بغير ما وصف به نفسه أو عصاه وجحد أمره سبحانه أبعده عن رحمته وخذله.

ويستوى عنده فى ذلك الفرد والقوم والبشرية كلها، الغنى والفقير، الأبيض والأسود، القوى والضعيف، الشريف عند الناس والوضيع.

وعلى هذا التفسير/الحقيقة فالله عز وجل لا ينتصر لقوم لأنهم قومه ولا لقبيلة لأنها قبيلته ونصرها نصر له، فهو عز وجل مستغن بنفسه عن الأنصار والشيع، وإنما هو سبحانه ينتصر لقوم لأنهم أهل الإيمان به وطاعته ويخذل آخرين لأنهم أهل الكفر به ومعصيته.

وإن تبدلت المواقع تبدل المنصور والمخذول وما تبدل ميزان النصر والهزيمة ولا تغير، فينصر اليوم بالإيمان من كان خذله بكفره بالأمس، ويخذل بالمعصية اليوم من كان نصره بالطاعة سابقًا.

تتغير الشعوب والقبائل والأقوام رحمة وقربا أو لعنة وطردا، ولا يبقى إلا رابطة الإيمان والطاعة هى ما يربط الإله بخلقه.

وعلى هذا التفسير الحقيقة فالإله مطلق المشيئة فى خلقه لا تقيده

مرابض القبيلة ولا حـدود الشعب أو القوم، وبه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكل إله يدعى من دونه هو باطل مختلق لا أصل له.

وكل نزاع بيـن من يدين لله عـز وجل ويؤمن به وهـو من أهل طاعته وبين غيره من الأقوام أو الشعوب أو القبائل هو نزاع بين الحق والباطل.

التفسـير الأول هو التفسـير الوثنى، والتفسـير الثانى هو الحقـيقة القرآنية.

والتفسير الوثنى هو النموذج العـقائدى للعلاقة بين الإله وقومه، كل إله وقومـه فى كل ربوع العالم وعلى مـدار تاريخه وفى مـختلف شعوبه وأقوامه خلا التفسير القرآنى.

وما التفـسير اليهودى والعقـيدة اليهودية فى الإله ورابطته بشـعبه باستثناء من ذلك. فإله التوراة هو إله شعب إسرائيل فقط لا يعرفه ولا يعبـده سواهم ولا يسمح هو لأحد بعـبادته غيرهم، لا لجـهل الأقوام والقبائل الأخـرى به ولكن لأن قبيلته اليهـودية هى حدوده التى ليس فى مقدورة تجاوزها، إذ كما أنه إلهـهم وحدهم فهم شعبه الذى ليس له شعب سواه، لأن للشعوب الأخرى آلهتها التى تقر التوراة بوجودها «لأنك أنت شـعبى مقـدس إياك قد اخـتار الرب إلهك لـيكون شعـبًا أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض»[1].

---

(١) تثنية ٧: ١٧.

والرابطة التى تربط هذا الإله بقبيلته اليهودية هى رابطة الدم والنسب لا الإيمان والطاعة فهو شيخ القبيلة اليهودية ورأسها.

ولأن الإله هو شيخ القبيلة فهو ينصرهم نصر شيخ القبيلة قبيلته ولا يخذلهم وإن عصوه لأن خذلانهم خذلانه، ويتجاوز عن كفرهم به لا لتوبتهم أو ندمهم بل لأن تنكيله بهم فضيحة لهم، ومن ثم فضيحة له لأنه رأسهم وشيخهم الذى يعير بهم عند مشايخ القبائل/ الآلهة الأخرى.

«فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك . . . صنعوا لهم عجلا مسبوكًا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل . . . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم . . . وأفنيهم وقال (موسى) لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . . . فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه»(١).

وصراع اليهود فى التوراة مع غيرهم من القبائل إنما هوفى الحقيقة صراع بين الإله وبين غيره من آلهة/ شيوخ القبائل الأخرى التى تقر التوراة بوجودها وإن أعلت من شأن إله اليهود وبخست شأن غيره من الآلهة.

الفارق بين النموذج الوثنى وبين النموذج اليهودى للإله، وهو

(١) خروج: ٣٢: ٧ ـ ١٣.

أيضًا نموذج وثنى يحد فيه الإله بحد القبيلة أو القوم وتقيد مشيئته بحدودها، هو أن الإله فى النموذج والتفسير الوثنى متعدد أو مجسد فى صورة وثن أو صنم أو جد أعلى.

أما النموذج اليهودى فهو نموذج وثنى لإله واحد لا تدركه الأبصار يختلط فى أوصافه التوراتية ما يليق بالإله من الكمال والجلال مما أنزل الله عز وجل على أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه من وحى وبقيت آثاره فى التوارة، يختلط بما لا يليق بكمال الإله من صفات ونوازع وأهواء وثنية مما اقتطعه اليهود وكتبة التوارة مما مروا عليه أو اختلطوا به أو حاربوه من أقوام وثنية وحشوا به التوراة، فكلما مروا بقوم أو خالطوهم سلما أو حربًا أخذوا منهم صفة مما يعبدون وألصقوها بالإله، وربما انتزعوا ما يعبده غيرهم كله ونحلوه لأنفسهم واتخذوه ربًا وإلهًا كما أشار عز وجل إلى ذلك فى طبعهم بقوله: ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ (الأعراف ١٣٨).

بل إن كتبة التوراة أنفسهم نسبوا لسليمان سعيه وراء معبودات الوثنيين وإقامته المعابد وتقديمه القرابين لها: «وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ... فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ... وهكذا فعل سليمان لجميع نسائه الغربيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن»(١).

(١) ملوك الأول ١١: ٥ ـ ٩.

فلم يكفهم إثبات وجود آلهة أخرى مع الله عز وجل حتى جعلوا أنبيائهم يسعون فى أثرها ويطلبون رضاءها.

الإله فى التوراة إذًا واحد حقًا لكنه يتحرك ويفعل ويقول ويأمر وينهى ويطاع ويعصى فى إطار وثنى، فصلب اللوحة التوراتية الوحدانية، ورتوشها وظلالها وأضوائها كلها وثنية.

لذا كانت التوراة هى الحق الممزوج بالباطل أو هى أقرب الباطل إلى الحق ومن ثم كان النهى النبوى الحكيم عن تصديق أهل الكتاب، إذ قد يكون ما يقولونه مما حشوا به الحق من الباطل، وأيضا النهى عن تكذيبهم فقد يكون مما بقى فى الباطل من الحق.

ولأن التوراة هى الحق الممزوج بالباطل كانت عناية القرآن الكبرى بهذا الباطل الخادع بما شابه من الحق، فلم يول القرآن عقيدة قوم ولا أخلاقهم ولا سلوكهم ولا أفعالهم ومقالهم عناية مثل تلك التى أولاها لليهود.

ذلك وما هم بأكثر البشرية عددًا ولا أشدها مراسًا ولا أعظمها عمرانًا وبناء. فهذه إحدى علتين اهتم بسببهما القرآن اهتمامًا بالغًا بأن يقص على هذه الشرادم المشرذمة فى أصقاع الأرض أكثر الذى هم فيه يختلفون.

أما العلة الثانية فهى أن الباطل المشتبه بالحق فى اليهود وتوراتهم كان النواة لعالم كبير كثيف وقطاع هائل من البشرية هو الغرب/ الحضارة اليهودية المسيحية.

فكما أن التوراة هـى الحق الممزوج بالباطل فـالعالم الذى خرج من بين دفتيهـا وتكون بسريانها فيه هو عالم البـاطل المشوب بالحق و هو أقرب عوالم البـاطل إلى عالم الحق، ولذا فهو أشـد العوالم عداء لعالم الحق!! لأنه يكشفه ويغيض نوره فى جوار ضياءه.

فالتوراة هى أكمل نموذج عقـائدى وأرقى سيرة تاريخية، والعالم الذى أقيم عـليها وبهـا هو أمثل عـوالم البشـرية وأكملهـا وأرقاها فى ميزان العقل والنفس بشرط واحـد، وهذا الشرط الواحد هو احتجاب القـرآن واختـفاء العـالم الذى خرج منه وتكون به، إذ فى وجـوده ـ القرآن ـ ينهار النموذج التوراتى ويستبين عواره، ومن ثم يسقط أساس الأسس الذى بنى عليه الغرب مفضيًا إلى تهافته وانهياره ذاتيًا.

ما لا يعـرفه كـثيـرون ويحرص من يعرفـونه على إخفـائه وإهالة الأكاذيب عليـه لأنه يجعل للمعـركة الإسلاميـة اليهودية أبعـادًا وآمادًا ليـسوا أهلاً لحـمل تبعـاتها هو أن التـوراة هى نبع الحضـارة الغربـية الأول، وأن الغرب مسـيرة وحضارة لم يتكون إلا بسريان التـوراة فيه والتقائها بعقائد وأفكار وأخلاق الإغريق.

وهما على ذلك صنوان!

فلا خـلاف بين نقاد التوراة ومـحققـيها على أن سـفر التكوين ـ وهو السفر الذى يحوى قصة الخلـق ويفسر كيف خلق الإنسان ولماذا خلق وأين كان وكـيف جاء ويضع بذرة علاقـة الإله بالإنسان والكون والطبيعة، ومن ثم فهـو السفر الذى يحدد رؤية الإنسان للكون والإله

ويصع الإطار الذى يحكم كل ما ينظم هذه العلاقة - لا خلاف على ان هذا السفر إنما كتب فى عصور متأخرة عن زمان روايته وعن زمان كتابة أسفار التوراة الأخرى المسماة بالأسفار التاريخية، وتحديدًا فى العصر الهلنستى/الإغريقى. ولذا امتزجت تفاصيله بتفاصيل الأساطير والأفكار الإغريقية.

جاء الغرب صورة حية مجسدة لعالم التوراة، قوانينه و معتقداته وأخلاقه وسلوك أبطاله وسيج علاقاتهم.

والعلمنة فى الغرب [illegible] تركًا [illegible] المقدس وهجرًا [illegible] ولكن ليس إلى فراغ، وإنما هجرة منه **إليه!**

ففى الكتاب المقدس تعاليم، وفيه عالم لا شأن [illegible] بهذه التعاليم.

فتعاليم الكتاب المقدس تنهى عن الزنى: «لا تزن»(١).

وأنبياء عالم التوراة زناة، زنى لوط بابنتيه، وزنى يهوذا بأرملة ابنه ولا حرج!

تعاليم التوراة تنهى عن القتل: «لا تقتل»(٢).

وأبطال عالمها ونماذجه العليا قتلة وسافكو دماء، وأعلام إبادة وإفناء، ورايات [illegible] ودمار: «وأخذوا المدينة [illegible] كل [illegible] فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ [illegible] البقر والغنم والحمير [illegible] وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها»(٣) «وكان لما انتهى

---

(١)، (٢) تثنية ٥: ٨ - ١٩

(٣) يشوع ٦: ٢١ - ٢٤

إسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى الحقل فى البرية ـــ لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف . . . حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاى وضربوها بحد السيف ويشوع لم يرد يده . . . حتى حرم جميع سكان عاى واحرق يشوع عاى وجعلها تلاً خرابًا»(١).

التعاليم تنهى عن شرب الخمر.

وفى العالم والحياة التوراتية سكر نوح* حتى فقد رشده وانكشفت عورته.

علمنة الغرب كانت إزاحة للكنيسة التى تقف بينه وبين الكتاب المقدس وتكبله بتعاليمه وما زادته من تعاليمها وأوامرها وهجراً لها ولهذه التعاليم والأوامر إلى عالم الكتاب المقدس الرحب المنفلت المطلق من القيود المارق على التعاليم والحدود ولا يحكمه إلا أهواء أفراده وما ترغب نفوسهم وأبدانهم وما تقتضيه ضرورة التعايش بينهم.

فى التوراة إسرائيل شعب الله المختار، فجاء الغرب مصدقًا لها حضارة الإنسان المختارة، وكل مجتمع او عالم غيره هو عنده هامش على متنه لا وجود له إلا بقدر ما يكون تابعًا له دائرًا فى فلكه.

والتوراة تجعل لكل قوم إلهًا وكل قوم يقاتلون بإلههم وينتصرون

(١) يشوع ٢٣ : ٨ ـ ٢٩.

* تذكر هذه الأسماء مجردة لأنها عندنا ليست لأنبياء الله صلوات الله عليهم وسلامه وإنما هى لشخوص توراتية وهمية لا صله لها بأنبياء الله عز وجل سوى تشابه الأسماء.

به، فجاء الغرب مرآة للتوراة مفرقًا أقوامًا وقوميات، وحدود كل قوم إلههم وما تعبد نفوسهم.

وهو ما يعترف به ديورانت فى موسوعته قصة الحضارة (الغربية) إذ يقر بأن الغرب ليس موحدًا لأنه فى الحقيقة لا يعبد إلهًا واحدًا. فجذر القوميات الغربية هو وجود صورة ذهنية خاصة للإله فى ذهن ونفس كل قوم، يعبدونها فتجمعهم وتفرقهم عن غيرهم.

فالإنجليز يحملون فى أذهانهم صوة للإله غير التى يعتقدها الفرنسيون وغير تلك التى استقرت فى عقول الألمان.

فكأن حدود الأقوام والقوميات هى الفروق بين صورة الإله فى أذهانها وآثار هذه الفروق وتراكمها فى مجتمعاتها، تمامًا كصورة قبائل التوراة.

فى عالم التوراة لا وجود للآخرة، وما بعد الموت مجهول أو غير موجود فلا حساب ولا ثواب ولا عقاب، وما يحققه شعب التوراة فى الدنيا هوالثواب، وفشله فى تحقيقه هو العقاب، فجاء إنسان الغرب صورة لعقيدة عالم التوراة، هو «أحرص الناس على حياة» ليس له غيرها، ولا غاية له فيها إلا العب من مباهجها والغرف من لذاتها، وجاء عالم الغرب كله تجسيدًا لعالم التوراة لا رسالة له إلا القوة والاستعلاء والسيطرة، ولا اعتبار للوسائل. فلم يفعل ميكيافللى فى مبدأه الذائع (الغاية تبرر الوسيلة) أكثر من أنه صاغ قانون عالم التوراة.

ماذا عن الأنبياء والأرض والمقدسات؟

الرابطة بين الإله وقـومه فى التـفسـير اليهـودى وهو أرقى أنواع الوثنية وأكثرها شبهًـا بالحق واختلاطًا به هى الرابطة العضوية الدموية لا الرابطة العقائدية الإيمانية.

إذًا فمن الداهة أن تكون صلة القوم بنبيهم هى كونهم من أنساله لا أنهم من أتبـاعه فيكون منطـق الوثنى اليهودى: هـذا الرجل جدى وأنا من أحفاده لا هذا الرجل نبى وأنا من أتباعه.

فإذا وعـد الإله عبـاده الصالحين بـوراثة الأرض وإذا قدس الإله بقعة على يد نبى كانت حجـة الوثنى الداحضة: إله أجدادى الذى هو إلههم وحدهم وهم وحدهم دون العالمـين شعبه وعدهم بهده الأرض وقدس لهم هذه البقعة، ولما كنت من نسلهم فهذه الأرض التى وعدوا بها أنا صاحبها، وهذه البقعة التى قدست لهم لا حق لأحد فيها سواى.

فمـا يصل إليه الـيهودى من أنه صـاحب الأرض وأولى البـشرية بالبقعـة المقدسة هو إفراز طبيـعى ونتيجة متـسقة مع الرؤية والمنطق والنمـوذج العقـائدى الذى يأتى منه بحـجـجـه، ولا يمكن نقض هذه النتـيـجـة إلا بنقص النمـوذج الذى un خـرجت والمـنطق الذى منه تكتسب أثرها وقوتها.

ولا يوجـد نمـودج عقـائدى ولا منطق دينـى او عيـر دينى يهـز النموذج والمنطق التـوراتى ومن ثم يهدم حججه ويزيـل اثاره ونتائجه عير القرآن.

فالله عز وجل وعد بالأرض عباده الصالحين لا قبيلته المختارة.

وعباد الله الصالحون هم من آمنوا به عز وجل كما وصف نفسه وأطاعوه فيما أمر ونهى وهم من حملوا رسالته وقاموا بها وكانوا مرآة لها.

والله سبحانه وتعالى قدس بقعة لنبى، وأولى البشرية بالنبى هم أتباعه على دينه القائمون على رسالته لا أحفاده وأنساله.

فإذا جاء عربى ليناقض يهوديًا وحجته: هذه البقعة لآبائى وأجدادى ورثناها عنهم ولا نعلم لأحد قبلهم وثيقة بملكها ولا أثرًا لوجودهم فيها لما كان هذا العربى إلا يهوديًا يحاور يهوديًا بمنطق اليهود وعقائد التوراة.

ويصبح الفيصل بين اليهودى والعربى (وكلاهما فى الحقيقة توراتى الذهنية) أيهما يقدم الدليل والوثيقة على سبق آبائه وأجداده فى ملكية الأرض وحيازة المقدس.

وهو مضمار لن يغلب فيه اليهودى المسخ اليهودى الأصل.

ذلك أن هذا العربى إنما يريد نقض حجج اليهود وإزالة ما يترتب على هذه الحجج بحجة تزيد منطق اليهود ثباتا وتزيد منهجهم ونموذجهم العقائدى رسوخًا.

وما ظنك بالعواقب والعقابيل والذى سوف يحكم بين اليهوديين يهودى ثالث، التوراة أصله ونبعه وهى ذهنه ونفسه، منها خرج وعالمه مرآة لها.

وذلكم اليهودى الثالث هو الغربى، والتوراة عنده وثيقة الوثائق التى تسقط أمامها كل وثيقة غيرها والتى ليس فى طاقته إبطالها، إذ لو أبطلها وهى أمه لكان يبطل نفسه ويمحو وجوده!

فالعربى المغفل الذى يحاجج بآبائه وأجداده إنما يهدم الآثار والنتائج اليهودية بما يغذى أصولها التى أنجبتها ويقوى التربة التى أنبتتها، فهو يدعم حجج اليهود وهو يتوهم نقضها ويؤصل لباطلهم وهو- من غفلته - يتوهم إزالته.

وها هنا نقدم مشهدين يُجلى بهما الفرق بين الإسلام القرآنى واليهودية، وبين العربى القرآنى الذهنية والعربى التوراتى الذهتية.

هب أن عربيًا ويهوديًا التقيا ليكون المشهد الأول هكذا:

اليهودى: هذه الأرض أرضى.

العربى: بل هى أرضى أنا.

اليهودى: إلهى وإله أجدادى وعدهم بهذه الأرض وجعلها لهم.

العربى: بل أجدادى أنا هم الذين امتلكوها وعاشوا فيها قرونًا متطاولة، وما كان مكوث أجدادك فيها إلا برهة من الزمن ليست فى جوار ما بقى فيها أجدادى وآبائى من قبلهم ومن بعدهم شيئًا مذكورًا.

اليهودى: كتاب أجدادى وآبائى التوراة يبوح بحقهم فيها.

العربى: وآثار أجدادى وآباءى ناطقة بما لهم فيها، وليس لأجدادك فيها عين ولا أثر.

اليهودى: كتاب أجدادى أبقى وأخلد من آثار آبائك.

العربى: بل وثائق آباءى وآثار أجدادى أصدق من كتابك وكتاب أجدادك.

وها هنا يقدم اليهودى توراته ويخرج العربى مستنداته ووثائقه وصكوك ملكية آبائه ليفصل بينهما الغرب التوراتى الذهنية والبنية والتكوين، فلا تساوى مستندات العربى المغفل ووثائقه وصكوكه أمام التوراة عند هذا الغربى شروى نقير.

ويستكمل اليهوديان الحوار:

اليهودى: هذا جبل الهيكل.

العربى: بل هو المسجد الأقصى.

اليهودى: داوود جدى اشتراه وسليمان جدى بناه وما أنا إلا بعض بنيهما، فأنا أولى الناس بهما.

العربى: ليس لك ولا لأجدادك فى هذه البقعة أثر ولا حجر، فأين هو هيكل سليمان هذا المزعوم؟

لا أثر له وإنما آثار أجدادى وأنفاس آبائى فى كل ركن وتحت كل حجر فى هذه البقعة فأنا صاحبها ولا أحد أحق بها منى.

اليهودى: أجدادى.

العربى: بل أجدادى.

ثم يذهب اليهودى مع العربى المغفل إلى الغرب وليد التوراة والذى لا يعرف عن هذه البقعة إلا أنها جبل الهيكل (TEMPLE MOUNTAIN) ليحكم بينهما.

أما المشهد الثانى بين عربى ويهودى فيأتى هكذا:

اليهودى: إله أجدادى وعد جدى إبراهيم وجدى إسحق بهذه الأرض.

العربى: الإله الذى وعد ليس إله أجدادك ولا إلهك وحدك، وإنما هو عز وجل رب العالمين وهو ما وعد أجدادك وإنما وعد بالأرض أنبيائه إبراهيم وإسحق عليهما السلام.

اليهودى: أليس إبراهيم وإسحق أجدادى.

العربى: بلى.

اليهودى: فأنا وريثهما فيما وعدهما الرب.

العربى: بل وريثهما من أطاع الله عز وجل واتبعهما وإن لم يكن من نسلهما، وما لمن جحد الله سبحانه وعصاهما حق وإن كان من بنيهما.

فالله عز وجل حكم أن أولى الناس بإبراهيم هو من تبعه لا من أنجبه.

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (آل عمران ٦٨).

اليهودى: أفتكون أنت أولى منى بجدى وما ترك؟

العربى: نعم. فالله عز وجل أنزل فى كتابه الذى حفظه ووضع فيه دلائل صدقه وحفظه أن الرابطة بين النبى وابنه من صلبه ليست إلا العمل الصالح، فإن طلح عمله فصمت علاقته بالنبى وبانت الصلة بينهما.

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود ٤٦).

وفى قراءة الكسائى ويعقوب: «إنه عَمِلَ غيرَ صالح».

فكون ابن النبى «عَمِلَ غيرَ صالح» أخرجه من أهل النبى وبتر نسبه إليه.

اليهودى: فماذا ستقول فى هذه البقعة المقدسة وقد اشتراها جدى وبناها جدى؟

أليس نبيكم يقر أنها من شراء وبناء داوود وسليمان، وهما جداى؟

العربى: ليس نبيى وحدى ولكنه نبى الله عز وجل للعالمين كافة يرث الأنبياء جميعًا، وإزوراركم عنه كفر به وبالله عز وجل يفصم صلتكم بالله ويقطع نسبكم بأنبيائه.

فما داوود وسليمان عليهما السلام بأجدادك، أخرجكم من أهلهما وأبنائهما كفركم وجحودكم ومعصيتكم.

اليهودى: فمن أهلها وبنوهما إن لم نكن نحن؟

العربى: أهلهما وبنوهما من آمنوا بما جاءا به وأطاعوا النبى الذى جاء خاتمًا لهما ومصدقًا لنبوتهما، لا من جعلوهما طغاة سفكة دماء ساعين خلف الأوثان والأصنام.

وما يرث الأنبياء إلا الأنبياء وأتباع الأنبياء لا قبيلتهم ولا أبنائهم، فالله رب العالمين لا ربكم وحدكم وعد بالأرض وقدس المقدسات لعباده الصالحين لا لقومه العاصين.

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ (الأنبياء ١٠٥).

اليهودي: آثار أجدادي في الأرض أورثها إياهم وإياي إلهنا في كتابنا وسيرتنا.

العربي: أرض الله أورثها عباده الصالحين في كتابه الذي أنزله بيانا أخيرا للبشرية كلها ومصدقا لما في كتابكم من الحق ومهيمنا على ما فيه من الباطل. وما آثاركم في الأرض - وجدت أو لم توجد - بالتي تورثكم إياها وقد حكم عز وجل نفسه وهو مالك الأرض ومن قدس المقدسات فيمن هو أحق بها، فجعل سبحانه وتعالى مستند حيازتها ووثيقة ملكيتها الإيمان به وبيانه للبشر وطاعته عز وجل لا الآثار ولا الصكوك ولا الأجداد.

اليهودي: أرض إلهي وأجدادي.

العربي: أرض الله رب العالمين لا أرض أجدادك ولا أجدادي.

وها هنا يحوز الأرض والمكان المقدس من يؤمن الآخر بصدق كتابه ونموذجه العقائدي وصفة الإله في هذا النموذج وموقع الأرض والمقدس منه، أو يحوزهما من يستطيع تغييب كتاب الآخر وتحييد عقائده وتضليله عنها . . . أو يفصل بينهما السلاح!

العربي في المشهد الثاني هو المسلم القرآني الذهنية والنفس الذي يؤمن أن الله رب العالمين وأنه عز وجل أرسل نبيه ﷺ برسالة خاتمة وبيان نهائي للبشر يرث بها ﷺ الأنبياء دون أقوامهم

وأنسالهم، وهو العربى الذى يعى أن رابطته بالله رب العالمين هى الإيمان به، وأنه لا نسب بينه وبينه عز وجل إلا طاعته، إن أطاعه عز وجل نصره وإن عصاه خذله بقدر عصيانه.

وهو العربى الذى يوقن أن كل من آمن بالله عز وجل ورسوله ورسالته وبيانه الخاتم هو أخوه، جعل الله نسبه ورابطته به فوق رابطته بأخيه من بطن أمه وصلب أبيه إن لم يؤمن هذا الأخ بالدم بمثل ما آمنا به.

فالمسلم فى مشارق الأرض ومغاربها، فى حضرها وبيدها، فى جبالها وسهولها، فى قيظها وجليدها، أبيض كان أو أسود أو أحمر أو أصفر هو أخوه ما آمن بمثل ما آمن به.

وهو العربى الذى يعلم أن الله عز وجل أناط به رسالة يكون هو مرآة لها ثم يبلغها للعالمين ويدعوهم إليها بالحسنى وهو يعد ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل يرهب به عدو الله وعدوه.

فمن حال دون إبلاغ هذه الرسالة أو أعاق وصولها للبشر ليؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر فله السلاح.

نعم! هو العربى الذى لا يخجل من القوة ولا يتبرأ من حيازة السلاح ولا ينكس رأسه عند سيرة الفتوح باحثا عن تبرير، أى تبرير للقتال، إذ هو يوقن أن عنده من الله إذنا بالقتال لا يعنيه معه رضاء من جحد الرسالة الخاتمة والبيان النهائى أو غضبه.

وهو المرء الذى يهب من أصقاع الأرض ذودا عن المسجد

الأقصى وصونًا لدماء الطائفـة التى على الحق ببيت المقدس و أكناف بيت المقدس لا ينتظر اجتمـاعًا ولا إذنًا ولا قرارًا ولا عونًا على شعب التوراة من العالم الذى أتى منه ومنهـا! وهو العربى الذى لا يزيغ قلبه ولا تدور عيناه كـالذى يغشى عليه من المـوت باحثًا عـمن يلقى عليه التبعة بحجة أن بلاد المسجد الأقصى ليست بلده وأن أهله ليسوا قومه وشعبه.

وأمـا العربى الأول فـهـو العربى التـوراتى الذى نزع منه القـرآن وأزيلت من عـقله قـضاياه ومنطقـه ومـحيت من نفـسـه روابطه التى ارتضاها عز وجل لمن آمن به.

فهـذا العربى لا يربـطه بأحد غيـره رابط إلا أنه من قـومه أو من قبـيلته يجمـعه بهم أرض تتـسع يومًا وتضيق آخـر حسب مواصـفات الغرب وأممه المتحدة.

وكل من لا ينتسب إلى القبيلة أو القوم أو يخرج عن حدود قطعة الأرض التى نزلت بها القبـيلة أو استقر بها الشعب فـهو غريب عنه لا تربطه به رابطة ولا يعنيـه من شأنه شىء، حـارب أو سالم، قـاتل أو قتل.

وهو العربى الذى لا يرى فى الأرض إلا أنها أرض القبيلة والقوم والشعب ورثهـا عن اباءه وأجداده فإن انتـهك منتهك أرض قبـيلته ثار لها،وإن اجتـاح غيرها لم يحرك ساكنًا لأن العـدوان على أرض القبيلة الأخرى أو الشعب الآخر.

قد يساعد هذه القبيلة أو الشعب الآخر وقد يعطف عليه عطف الغريب على الغريب ولا يقوم له قيام المرء لنفسه وأهله.

إذ هو عنده آخر، هم وليس نحن، والقضية قضيتهم لا قضيتنا، والأرض المنتهكة المغتصبة أرضهم وليست أرضنا، وتحريرها واجب عليهم لا علينا. فمالنا وللأرض ليست لنا ولا عاش فيه آباؤنا وأجدادنا؟

وهو العربي الذي يدفع حجة اليهود بحجة يهودية توطد عقائد اليهود، فهو ينكر عليهم أنهم شعب الله المختار ليجعل هو من نفسه الشعب المختار الذي انحدر من الفراعين أو جاء من نسل الجبارين متجاهلاً الرسالة الخاتمة ومتجاوزاً البيان الإلهي النهائي وقافزاً عليهما إلى ما خلفهما، وكأن القرآن ما أنزل وكأن محمداً رسول الله ما بعث، تماما كما يفعل اليهود.

فهو العربي الذي نسي الرسالة التي كلف العمل بها وإبلاغها لتصبح رسالته هي عين رسالة اليهود: البحث عن عالم الأجداد الضائع وتمجيدهم والتغني بهم والمفاخرة بآثارهم واتخاذ سيرتهم الضالة نبراسا وهدى.

وهو العربي الذي أصبح رأس قومه أوشيخ قبيلته هو إلهه، يحكم ويشرع ويضع كتابه وإعلامه يحدد له به زيه وأخلاقه وأفكاره وقانونه ومن يوالي ومن يعادي في ازورار عن كتاب الله رب العالمين وقد أصبح في جوار كتاب الزعيم أو القائد الملهم كتاب الموتى.

وكما أن له شيخه أو رأسه، فلكل قبيلة شيخها أو رأسها، ويحد سلطان كل شيخ أو رأس بمرابض قبيلته أو حدود قطعة الأرض التى أقطعه الغرب إياها.

وكلهم لبعض خصيم.

هو العربى اليهودى إذا.

ولم يبق للقارئ إلا أن يعرف أن الذى يسميه العربى المغفل مسيرة التحديث والنهضة العربية لم يكن إلا مسيرة إزاحة القرآن وعالمه لفتح الطريق أمام التوراة وعالمها، وأن ما يطلق عليه اليقظة القومية لم يكن إلا فعل الغرب فى الشرق لإزالة روابطه القرآنية وإحلال الروابط التوراتية محلها، وأن الدولة القومية/الوطنية ليست إلا الدولة التوراتية.

فالتوراة هى «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم» لشعب إسرائيل! وعالم الدول القومية/الوطنية المكونة من قطعة أرض، وشعب يربطه بنفسه ويفصله عن غيره رابطة الدم، وحكومة/إله هو هو عالم التوراة بقبائلها، ولكل قبيلة حدودها وأرضها وشيخها ابن إلهها أو من ظهر له الإله.

وأما ما يسميه العربى المغفل الحداثة فما هو إلا مسيرة صناعة هذا العربى المغفل نفسه كى يساق بالتوراة ولا يدرى، ويرى العالم والماضى والمستقبل والدنيا وما فيها من صراعات بالمنظار الذى أراده كتبتها، ويكون مرآة لها ولا يعى: تمحى من عقله الرسالة الخاتمة

التى ما كان ولا نهض ولا قاد الدنيا وتبعه أهلها إلا بها لتستوطن عقله «أكلشيهات» الغرب الوهمية عن النهضة والحضارة والتقدم.

وتزول من ذهنه رابطة القرآن الإيمانية لتحل محلها رابطة الأرض والقوم التوراتية.

وتحذف من نفسه ومن ميزانه وحساباته الآخرة أو تضمر عنده حتى لا تكون فاعلة فتنفرد به الدنيا ويصبح هدفه الأعلى وغايته الأسمى الترف والعب من المباهج، تماما كأخيه الغربى وكما أراد كتبة التوراة لشعب التوراة.

فلا عجب فى عالم عربى توراتى الذهنية والروابط، توراتى الأخلاق والمقاصد، توراتى الحدود والفواصل، ترى كل قبيلة أو شعب فيه تاريخها بمنظار كتبة التوراة و تزن نفسها بموازينها.

لا عجب فى عالم عربى توراتى أن يكتسحه شعب التوراة!

ملحق

فتوى علماء المسلمين بشأن المسجد الأقصى

بمناسبة ما نشرته جريدة «الجروزليم بوست» التى تصدر بالقدس فى عددها الصادر بتاريخ ٨/٨/١٩٦٧ تحت عنوان «الحاجة إلى تخلية ٨٢ مترًا آخر من ساحة حائط البراق» والذى تضمن أن وزارة الأديان رسمت خطة لتنظيف تلك المساحة وأن لجنة التربية والتعليم التابعة للكنيست تجولت فى الأماكن المقدسة، فأخبرهم الحاخام طورين الموظف فى وزارة الأديان أن الأمتار المنوه عنها يحجبها عدد من الأبنية الملاصقة لحائط البراق، وأن الجزء الجنوبى من الحائط كان موجودًا لكنه غطى بأبنية عبر الأجيال . . . الخ.

وبمناسبة إقدام حاخام جيش الدفاع الإسرائيلى بريجادير شلوموغورين على الصلاة مع جماعته فى ساحة المسجد الأقصى المبارك بتاريخ ١٥/٨/١٩٦٧ وإعلانه عن عزمه على إقامة صلوات أخرى فى مكان آخر من تلك المساحة، وعلى إقامة كنيس فيها يزعم أنه يبتعد عن المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة، وأن تلك المساحة جزء من جبل البيت، كما ذكرت جريدة (هاآرتس) فى عددها الصادر بتاريخ ٦/٨/١٩٦٧.

وبمناسبة ما صرح به وزير الأديان الدكتور زيرح، فى مؤتمر حاخامى الجاليات اليهودية فى الخارج لأجل القدس والذى عقد مساء

السبت ١٢ آب ١٩٦٧ فى قاعة (هيكل سليمان بالقدس) وقد دعا إليه حزب مزراحى العالمى، وقد تمثلت فيه الجاليات اليهودية فى بريطانيا وكندا وفرنسا وأمريكا.

وقد تكلم فيه الدكتوز شموئيل برسكى، حاخام نيويورك، وزعيم الصهيونية فيها، كما تكلم فيه وزير الأديان، والدكتور عمانوئيل يعقوبوميتش حاخام بريطانيا الأكبر.

وقد كان أخطر ما ذكر فى المؤتمر، ما جاء فى كلمة الوزير الأديان ومنها «أن تحرير القدس وضع جميع المقدسات المسيحية وقسما مهما من المقدسات الإسلامية تحت سلطة إسرائيل، وأعاد إلى اليهود جميع مقدساتهم فيها، ولكن لإسرائيل مقدسات أخرى فى شرق الأردن، والحرم القدسى هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود ولا يزال مقدسا لديهم، ولكنه لا يزال مقدسًا لدى ديانه أخرى يعنى الإسلام.

ونحن لا نفكر الآن فى بناء الهيكل، ومن الجميل دفن هذه الفكرة فى الأيام الحاضرة، ولكن هذا لا يعنى أن نمتنع عن القيام بعمل ما نستطيع عمله، فسوف نبنى جميع الكنائس اليهودية فى البلدة القديمة، ونوسع ساحة البراق وذلك بأسرع وقت مستطاع.

وبالنسبة للمسجد الإبراهيمى الشريف، فإن الغار مكان مقدس لليهود، وقد اشتريناه بالمال، وكذلك صخرة بيت المقدس اشتراها داوود من اليبوسيين، وحقنا فى الغار والصخرة حق يهودى بالشراء والفتح».

وبمناسبة ما ذكره وزير الأديان في حديثه مع مراسل جريدة (هاآرتس) بتاريخ ١٨/ ٧/ ١٩٦٧، من أن مغارة الماكفيلا وحائط البراق ملك اليهود بحق الفتح والشراء إلخ، ونظرا لما تنطوى عليه هذه التصرفات والتصريحات من أخطار بالغة الأهمية تؤثر على مقدسات المسلمين في هذه الديار نعلن نحن قضاة الشرع الشريف والمفتين وعلماء الدين الإسلامى في القدس الشريف وسائر الضفة الغربية من المملكة الأردنية الهاشمية بهذه الفتوى الدينية:

١ - أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى، والمسجد الإبراهيمى هما مسجدان إسلاميان مقدسان لديهم.

٢ - وأن المسجد الأقصى المبارك هو قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين التى تشد إليها الرحال، وعملا بحديث الرسول ﷺ، والذى رواه الإمام البخارى وغيره «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدى هذا (المسجد النبوى) والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»، ومبدأ معراجه الشريف، وكما يجب على المسلمين في سائر أنحاء الدنيا أن يحافظوا على مكة وحرمها، ويحرصوا عليها من أن تمتد إليهما يد العدوان، يجب عليهم أن يحرصوا الحرص نفسه على القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك، حتى يكون طرفا الإسراء وركناه في مأمن من الخطر، وفى حالة من اليسر والسهولة بحيث يتمكن كل مسلم في أنحاء الأرض أن يزوره كلما أراد.

قال تعالى: ﴿**سُبْحان الَذى أَسْرىٰ بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إلى الْمَسْجد الأقْصا الَذى بارَكْنا حوْلَهُ**﴾ (الإسراء ١).

٣ - وإن المقصود من المسجد الأقصى بذلك كله هو جميع ما أحاطه السور وفيه الأبواب ويشمل المسجد المعروف الآن بالمسجد الأقصى، ومكان الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما.

وإن الاعتداء على أى جزء من الساحة الموجودة داخل السور هو عدوان على المسجد الأقصى نفسه ومساس بقدسيته.

وقد ذكر العلماء والمؤرخون أن طوله سبعمائة ذراع وعرضه أربعمائة وخمسة وخمسون ذراعا، وآخرون ذكروا مساحته أكبر قليلا، نظرا للاختلاف فى مبدأ القياس ونوع الذراع، ولكنهم كلهم مجمعون على أن المسجد الأقصى يعنى جميع ما دار عليه السور.

وقد استقر الرأى فى عهد الانتداب البريطانى نتيجة الحساب الدقيق أن مساحته مائة وأربعين دونما وتسعمائة متر(١).

٤ - وإن لليهود فى حائط المبكى حقوقًا، أقرها الستاتيكو والتقاليد القديمة حسبما عرفت فى عهد الحكومة التركية المسلمة، وحكومة الانتداب المسيحية وكانوا يتمتعون باستعمال تلك الحقوق

---

(١) انظر ابن القسم سنة ٩٠٣م وابن عبد ربه الأندلسى فى كتابه العقد الفريد سنة ٩١٣م والمقدس سنة ٩٨٥م والهروى سنة ٥٦٩هـ و١١٢٣م، ومجير الدين الحنبلى سنة ٩٠٠هـ و١٤٩٤م وخريطة الحرم القدسى الصادرة سنة ١٩٤٤م من دائرة المساحة فى حكومه الانتداب البريطانى.

بكامل حريتهم، إلى أن وقعت الحرب بينهم وبين العرب سنة ١٩٤٨.

وإن اليهود أرادوا التوسع فى تلك الحقوق سنة ١٩٢٩، وحصل نزاع بينهم وبين العرب والمسلمين، أدى إلى ثورة سنة ١٩٢٩، ونتج عن ذلك أن صدر مرسوم (الحائط الغربى أو حائط المبكى) فى فلسطين سنة ١٩٣١ من ملك بريطانيا بناء على قرار مجلس جمعية الأمم الصادر بتاريخ ١٤/ ١/ ١٩٣٠، وقد تضمن ذلك المرسوم تأليف لجنة من ثلاثة أعضاء ليسوا من التبعية البريطانية، قد تألفت تلك اللجنة الدولية، وأحضر كل من اليهود والمسلمين أبرز المحامين والمدافعين عن وجهة النظر التى يتبناها كل منهم وأصدرت قرارها المتضمن أن:

(أ) للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى، ولهم وحدهم الحق العينى فيه، لكونه يؤلف جزء من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف والمسلمين، وأيضًا يعود الرصيف الكائن أمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفًا حسب أحكام الشرع الإسلامى لجهات البر والخير.

(ب) لليهود حرية السلوك إلى الحائط الغربى لإقامة التضرعات حسب الشروط المشار إليها.

(جـ) وجوب إبقاء الباب الكائن فى طرف الحائط الجنوبى مقفلاً فى

ساعات معينة على أن يحترم فى ذلك حق المسلمين فى الذهاب
والإياب على الرصيف بالطرق الاعتيادية

(د) يحظر على أى كان استعمال المكان الكائن أمام الحائط أو ما جاوره لأجل إلقاء الخطب أو إقامة المظاهرات السياسية مهما كان نوعها . . . إلخ .

انظر مجموعة قوانين فلسطين لسنة ١٩٣٣، المجلد الرابع صفحة ٣٣٩٧ وما بعدها فى الترجمة العربية

وإن هذا القرار قد فصل فى النزاع اليهودى العربى بخصوص هذا المكان المقدس وأصبح وثيقة دولية واجبة التطبيق، ولا يجوز تحت أى ظرف إثارة النزاع مرة أخرى، شأنه فى ذلك شأن أى نزاع يقع بين أى فريقين يصدر بشأنه قرار قضائى .

ولذلك فإن التوسع الذى يجرى فى ساحة المبكى، فهو اعتداء على حق المسلمين فى حارة المغاربة، التى هى من أوقاف المسلمين الخيرية، كما أن ا ا إجراؤه - والذى أشارت إليه البوست - من شأنه هدم الزاوية الفخرية الملاصقة للمسجد الأقصى المبارك وفيها مسجد، عدا المساكن الأخرى التى يصيبها الهدم، ومن شأنه أيضا هدم المدرسة التنكيزية مكان المحكمة الشرعية القديمة، وفيها مسجد ومقر المعهد العلمى الإسلامى ومكتب المؤتمر الإسلامى، وكل ذلك من الأوقاف الإسلامية الخيرية، والآثار التاريخية التى لا يجوز أن ينالها أى ضرر عملا بقواعد القانون الدولى .

٥ - إن إثارة ملكية الصخرة وملكية الماكفيلا (المسجد الإبراهيمى الشريف) استنادًا إلى آراء عميقة فى القدم، بعد مضى أربعة عشر قرنًا على المسلمين وهم يتصرفون بهذه الأماكن بصفتها مساجد إسلامية، لا يقره شرع إلهى، ولا قانون وضعى، ولا عرف دولى، من شأن هذه الإثارة أن تعرض الحقوق الدولية والشخصية للمخاطر التى لا حد لها، خصوصا أن المسلمين حين فتحوا هذه البلاد كانت تحت حكم الرومان، لم يعتد المسلمون على اليهود فى هيكلهم أو آثار هيكلهم، كما أنهم كانوا الحامين لهم من العدوان والتشريد اللذين كانوا يتعرضون لهما على يد غير العرب والمسلمين، فضلا عن أن موضع الهيكل لم يحدد بصورة قاطعة فى نص دينى أو تاريخى، وهو موضع خلاف بين علماء التاريخ والآثار.

لذلك كله وبناء على تلك النصوص والأحكام الشرعية والحقائق التاريخية الناصعة فإننا نقرر ما يلى:

أولاً: العدوان على أى جزء من أجزاء ساحة الحرم القدسى هو عدوان على المسجد الأقصى المبارك نفسه وانتهاك لقدسيته وحرماته.

ثانيًا: المسجد الإبراهيمى الشريف فى الخليل، هو مسجد إسلامى بكل ما فى الكلمة من معنى شرعى، وكل عدوان على أية بقعة منه، يعتبر انتهاكا لقدسيته وحرماته.

ثالثًا: ساحة المبكى، وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى المبارك، قد حسم النزاع بشأنه بين المسلمين واليهود بالقرار المشار

اليه أعلاه والصادر عن اللجنة الدولية سنة ١٩٣٠م ولا يجوز إثارة هذا النزاع مرة أخرى.

رابعًا: إن محاولة تغيير الحالة الراهنة للمسجد الأقصى المبارك والمسجد الإبراهيمى، والتوسع فى ساحة المبكى، يتنافى كل المنافاة مع احترام المقدسات الإسلامية وصيانتها ويعتبر عدوانًا صارخًا عليها، ويثير مشاكل لا نهاية لها وأخطارًا لا حد لمضاعفاتها ليس لدى سكان فلسطين المسلمين وحسب، بل لدى المسلمين فى أنحاء الدنيا كلها ولدى العالم أجمع.

خامسًا: أن المسلمين لا يعارضون اليهود فى زيارة الإماكن الإسلامية شريطة أن يصاحب ذلك أدب واحتشام ومراعاة لقدسية تلك الأماكن الطاهرة.

القدس فى ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ

الموافق ٢٢/ ٨/ ١٩٦٧م.

عبد الحميد السايح

قاضى القضاة بالنيابة فى الضفة الغربية

ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية

حلمى المحتسب	محمد اسعد الامام الحسينى
عضو محكمة الاستئناف الشرعية	قاضى رام الله الشرعى

سعيد عبد الله صبرى
قاضى القدس الشرعية وعضو
الهيئة العلمية الإسلامية

سليمان الجعبرى
الموجه الدينى فى وزارة التربية
والتعليم لمحافظ القدس ولواء
رام الله

جمعة السلوادى
قاضى نابلس الشرعى

واصف عبده
قاضى جنين الشرعى

سفيان الخالدى
قاضى طولكرم الشرعى

محمد سعيد الجمل
وكيل قاضى أريحا الشرعى

رشاد الحلوانى التميمى
مدرس الحرم الابرهيمى وعضو
الهيئة العلمية الإسلامية

توفيق جرار
مفتى جنين

ياسين صادق البكر
إمام ومدرس المسجد الأقصى

محمد خليل التكرورى
مدرس المعهد العلمى الإسلامى

عكرمة صبرى
مدرس المعهد العلمى الاسلامى

احمد الخطيب
الواعظ المتجول للواء رام الله

يونس ابو الرب
واعظ لواء جنين

محمد خلوى الجولانى
الواعظ العام فى بيت لحم

على الطزيز
من علماء الأزهر

صالح السوادى
من علماء الأزهر

راتب الدويك رئيس كتاب محكمة
بيت لحم الشرعية

قاسم الفاهوم
مفتى الناصرة سابقًا

موسى أحمد السيد
إمام مسجد النابلسى
رجب بيوض التميمى
قاضى بيت لحم الشرعى
راضى الحنبلى
امام وخطيب المسجد الحنبلى فى
نابلس
عبد الحى عرفه
خطيب وإمام المسجد الاقصى
العلمية الإسلامية
نمر عمر حسن نمر
إمام وخطيب مسجد حوارة
جميل الخطيب
خطيب وإمام المسجد الأقصى
محمد ابراهيم ابو فر
خطيب مسجد النصر فى نابلس
عبد القادر عابدين
مدرس المسجد الأقصى
محمود أمين الحبش
إمام وخطيب مسجد الساطون فى
نابلس

يونس السلوادى
الواعظ العام للواء رام الله
طاهر محمد ابو عصبة
إمام مسجد قرية عصيرة الشمالية
محمود الجبة
من علماء الأزهر
أحمد الحنبلى
محام شرعى
محمد جمال الدجانى
ناظر ومتولى أوقاف مسجد النبى
داوود
محمد السطامى
خطيب ومدرس فى نابلس
سعد الدين العلمى

مصطفى طهبوب
قاضى الخليل الشرعى
عزت مرعى
إمام الجامع الكبير فى نابلس

المراجع والمصادر

(١) الحافظ ابن حجر العسقلانى:

* تهذيب التهذيب. دار الفكر العربى ط ١ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. تحقيق المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى. دار المعرفة. بيروت. بدون تاريخ.

(٣) الحافظ ابن سيد الناس:

* عيون الأثر فى فنون المغازى الشمائل والسير. تحقيق وتعليق د. محمد العيد الخطراوى ومحيى الدين متو. مكتبة دار التراث. المدينة المنورة، دار ابن كثير. دمشق، بيروت ط ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٤) الحافظ ابن عساكر:

* تاريخ مدينة دمشق. تحقيق محب الدين أبو سعيد عمرو بن غرامة الضمرى. دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٥) الإمام ابن ماجه:

* صحيح ابن ماجه. حققه ووضع فهارسه محمد مصطفى الأعظمى. شركة الطباعة العربية السعودية ط٢ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٦) الحافظ أبو يعلى الموصلى:

* مسند أبى يعلى. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث. دمشق ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٧) الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى:

* المسند. شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٨) الإمام البخارى:

* الجامع الصحيح (صحيح البخارى). مراجعة وضبط وفهرسة الشيخ محمد على قطب والشيخ هشام البخارى. المكتبة العصرية صيدا بيروت ط٢ ١٤١٨هـ/١٩٩٦م.

(٩) الإمام البيهقى:

* دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه د.عبد المعطى قلعجى. دار الريان للتراث ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(١٠) الإمام الترمذى:

* الجامع الصحيح (سنن الترمذى). دار الحديث. بدون تاريخ.

(١١) الحافظ جلال الدين السيوطى:

* الدر المنثور فى التفسير بالمأثور وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس. المطبعة الميمنية. إدارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى. شوال ١٣١٤هـ.

(١٢) الحافظ الطبرانى:

* المعجم الكبير. حققه وخرج أحاديثه حمدى عبد المجيد

السلفى. وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية. طبع بمطبعة الزهراء الحديثة. الموصل. بغداد ط٢ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(١٣) العلامةالمتقى الهندى:

* كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال. ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكر حيانى. صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا. مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(١٤) الإمام مسلم:

* صحيح مسلم. وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وترقيمه وتصحيحه وعد كتبه وابوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووى مع زيادات عن أئمة اللغة خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقى. دار إحياء الكتب العربية. بدون تاريخ.

(١٥) الإمام [illegible]:

* سنن النسائى بشرح الجلال السيوطى وحاشية السندى. دار الحديث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(١٦) الحافظ [illegible] الدين الهيتمى:

* كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. تحقيق المحدث الكبير العلامة الشيخ [illegible] الأعظمى. مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(١٧) الإمام ابن عطية الأندلسى:

* المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن [illegible]

تحقيـق وتعليق: الرحالى الفاروقى، عبـد الله بن إبراهيم الأنصارى، السيد عبـد العال السيد إبراهيم، محى الدين الشـافعى صادق العنانى. طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر. الدوحة. المحرم ١٣٩٨هـ/ ديسمبر ١٩٧٧م.

(١٨) الإمام ابن القيم:

* بدائع الفوائد. المطبعة المنيـرية لصاحبها محمد منـير عبده أغا الدمشقى الأزهرى. التاريخ غير موجود.

(١٩) الحافظ ابن كثير:

* تفسير القرآن العظيم. تحقيق د. كمال على الجمل. دار الكلمة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨.

(٢٠) الإمام الألوسى:

* روح المعانى فـى تفسير القرآن العظـيم والسبع المثانى (تفـسير الألوسى). مكتبة دار التراث. بدون تاريخ.

(٢١) الإمام البغوى:

* معالم التنـزيل (تفسير البغـوى). تحقيق خالد بن عـبد الرحمن ومروان صوان. دار المعرفة، ط١ ببيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢٢) الإمام الزمخشرى:

* الكشاف من حقائق التنزيل وعـيون الأقاويل فى وجوه التأويل، وبهامشـه القرآن الكريم برسم وضبط الدورى عن أبى عمـرو البصرى ومعه كتاب «الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال» للإمام ناصر

الدين ابن المنير الإسكندرى المالكى وحاشية الشريف الجرجانى.
مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

(٢٣) الإمام الشوكانى

* فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير دار الفكر ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

(٢٤) الشيخ الطاهر بن عاشور:

* التحرير والتنوير الدار التونسية ١٩٨٤م.

(٢٥) الإمام الطبرى:

* جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى) دار الفكر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢٦) الإمام الفخر الرازى:

* مفاتيح الغيب والتفسير الكبير. ط٣ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥

(٢٧) الإمام القرطبى:

* الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان (تفسير القرطبى). دار الغد العربى ط١ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

(٢٨) الشيخ محمد رشيد رضا:

* تفسير المنار. دار المعرفة. بيروت ط٢ بدون تاريخ

(٢٩) الإمام محمد ابن إسحق:

* السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار إحياء الكتب العربية.

(٣٠) الإمام الذهبى:

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. دار الغد العربى ط١ ١٩٩٦م.

(٣١) الحافظ ابن كثير:

* البداية والنهاية. تحقيق د.أحمد عبد الوهاب فتيح. دار الحديث ط٥ ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٣٢) العلامة ابن خلدون:

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون). دار الفكر.

(٣٣) الإمام الطبرى:

* تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى). مؤسسة الأعلمى للمطبوعات. بيروت. بدون تاريخ.

(٣٤) العلامة محمد كرد على:

* خطط الشام ط٢ بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

(٣٥) الجغرافى والرحالة المقدسى:

* أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. طبع فى مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ١٩٠٦م.

(٣٦) الإمام الواقدى:

* فتوح الشام. المطبعةالعامرة السنية لمالكها ومديرها الشيخ عثمان الرزاق ربيع الآخر ١٣٠٢هـ.

(٣٧) الجغرافى ياقوت الحموى:

* معجم البلدان. ترتيب محمد أمين الخانجى بقراءته على الشيخ أحمد الأمين الشنقيطى. مطبعة السعادة ط١ ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م.

(٣٨) الحافظ ضياء الدين المقدسى:

* فضائل بيت المقدس. تحقيق د. محمد مطيع الحافظ. دار الفكر. دمشق ط٥ ١٤٠٥هـ.

(٣٩) المنهاجى السيوطى:

* اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى. تحقيق د. أحمد رمضان أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ١ ١٩٨٢م، جـ٢ ١٩٨٤م.

(٤٠) قاضى القضاة مجير الدين الحنبلى:

* الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. طبع بالمطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٣هـ.

(٤١) الخطيب الواسطى:

* فضائل البيت المقدس. حققه وقدم له إسحق حسنون. معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية بالجامعة العبرية بأورشليم. دار ماغنس للنشر. القدس ١٩٧٩م.

(٤٢) الإمام الفيروز أبادى:
* القاموس المحيط. طبعة مصورة عن طبعة بولاق الأميرية ١٣٠٢هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(٤٣) الإمام محمد بن أبى بكر الرازى:
* مختار الصحاح. عنى بترتيبه محمود خاطر بك. طبعة وزارة المعارف العمومية ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة.
(٤٤) دار المشرق:
* المنجد. المطبعة الكاثوليكية. بيروت. حزيران ١٩٦٧م.
(٤٥) د. حسين مؤنس:
* المساجد. عالم المعرفة. العدد ٣٧ صفر ربيع الأول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م.
(٤٦) خليل بن خطار سركيس:
* تاريخ أورشليم. طبع بمطبعة المعارف فى بيروت ١٨٧٤م.
(٤٧) ذكى شنودة:
* المجتمع اليهودى. مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م.
(٤٨) سيد بكر عبد المجيد:
* أشهر المساجد فى الإسلام. دار القبلة. جدة. الرياض ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م.
(٤٩) عارف باشا العارف:
* تاريخ القدس. دار المعارف ١٩٥٣م.

(٥٠) د. عبد الحميد زايد:

* القدس الخالدة. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م

(٥١) كارين أرمسترونج:

* القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث. ترجمة د. محمد عنانى و د. فاطمة نصر. سطور. القاهرة ١٩٨٨م.

(٥٢) مجمع البحوث الإسلامية.

* بيت المقدس فى الإسلام. الكتاب الخامس «عدد خاص». تقديم الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود. رجب ١٣٨٩هـ/ سبتمبر ١٩٦٩م.

(٥٣) مركز دراسات المستقبل. جامعة أسيوط:

* الندوة الدولية «القدس: التاريخ والمستقبل» ٢٩ - ٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م.

(٥٤) يوسفوس:

* تاريخ يوسفوس. المكتبة العمومية لسليم إبراهيم صادر - بيروت ١٩٢٤م.

(٥٥) د. عبد الوهاب المسيرى:

* موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. دار الشروق ط١ ١٩٩٩م.

(٥٦) دار الكتاب المقدس

* قاموس الكتـاب المقدس. هيئة التحـرير: بطرس عبد الملك، د. جون ألكساندر وطسون، أستاذ إبراهيم مطر.

(٥٧) الكتاب المقدس: مجموعة أسفار التوراة والأناجيل وأعمال الرسل ١٩٩٥م.

(٥٨) Encyclopaedia Judaica Keter puplish- ing House.

Jerusalem Ltd., Jensalem, Israil.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع | الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة










MENU



